المشاريع الوقفية الأردنية ودورها في الحفاظ على مدينة القدس

حمل الهاشميون والأردن مسؤولية عظيمة اتجاه مدينة القدس والمقدسات انطلاقا من إحساسهم بالمسؤولية الدينية والتاريخية، ولما للمدينة من مكانة في قلوب المؤمنين، فهي أطهر بقاع الأرض؛ أرض الرسالات، إليها تُشدّ الرحال، وفيها ثاني المسجدين، وهي أولى القبلتين، ومسرى النبي الهاشمي، تحمّل الهاشميون مسؤولية رعايتها والحفاظ عليها، وتشرفوا بالوصاية عليها قبل ما يقرب من مائة عام.

ففي عام 1924 قامت مجموعة من أعيان فلسطين والقدس برئاسة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين الحاج أمين الحسيني بالتوجه إلى الشريف الحسين بن علي ـ طيب الله ثراه ـ في الحجاز وأطلعوه على ما يحتاج له المسجد الأقصى من إعمار نتيجة الزلزال الذي دمّر جزءاً من المسجد في ذلك الوقت، وقد استجاب وتبرع من ماله الخاص بأربعة وعشرين ألف ليرة ذهبية، وطلبوا منه أن يكون وصيا على المقدسات الإسلامية لعمارتها وصيانتها ومن الأخطار المحدقة بها، وتوارث الأبناء والأحفاد من ملوك بني هاشم هذه الوصاية والرعاية.

وقد قام جلالة المغفور له الحسين بن طلال بتثبيت هذه الوصاية والرعاية في معاهدة السلام عام 1994 استنادا إلى الإيمان العميق بالحفاظ عليها مسؤولية دينية تاريخية.

كما جدّد الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله هذه الوصاية بالاتفاقية التي أبرمها مع فخامة الرئيس محمود عباس رئيس دولة فلسطين نيابة عن الشعب الفلسطيني بتاريخ 2013/03/30 والتي أعطت الحق لجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين في بذل جميع الجهود القانونية والدبلوماسية للحفاظ على هذه الوصاية الهاشمية على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية استمرارا لما كان عليه ملوك بني هاشم من قبله في القدس الشريف، وخصوصا المسجد الأقصى المبارك.

فحمل الهاشميون المسؤولية في رعاية الأماكن المقدسة عبر قرن من الزمان، وبذلوا كل جهدهم في رعاية المدينة ومقدساتها، وعملوا جاهدين لتبقى المدينة عربية إسلامية الطابع والهوية، ووقفوا ولا زالوا يقفون سدّا منيعا أمام محاولات تهويدها وتغيير معالمها وطمس هويتها، فهي تعيش في وجدانهم وسلوكهم عقيدة لا يستطيعون الحيد عنها، فعملوا ولا زالوا يعملون لرعايتها بمشاريع مستمرة ومتواصلة حفاظا على المقدسات، ودعما لأبنائها لتعزيز ثباتهم على ثرى المدينة المقدسة.

وكان للهاشميين سجل حافل بالعطاء والبذل في إقامة المشاريع الوقفية المتوالية التي تبرز عمق العلاقة الدينية والتاريخية التي تربط الهاشميين بالقدس والمقدسات، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك/الحرم القدسي الشريف، وقد يطول الحديث عن هذه المشاريع التي نذكر منها:

- الإعمار الهاشمي الأول:

إذ قام الشريف الحسين بن علي عام 1924 بالمساهمة بترميم المسجد القبلي ومسجد قبة الصخرة المشرفة، وتبرّع من ماله الخاص بأربعة وعشرين ألف ليرة ذهبية، كما قام الملك عبد الله الأول عام 1948 بترميم المسجد من الأضرار التي لحقت به نتيجة الحرب.

- الإعمار الثاني:

حيث أمر المغفور له بإذن الله الملك حسين بن طلال طيب الله ثراه وبعد توليه سدة الحكم بإصدار قانون خاص سمي بقانون لجنة إعمار المسجد الأقصى عام

1954، وشمل هذا الأعمار ترميم الجدران والفسيفساء والبلاط القاشاني فيها، وتركيب أعمدة رخامية في الجهة الشرقية من المسجد القبلي وترميم الأسقف.

- الإعمار الثالث:

وبعد أن تعرّض المسجد الأقصى للحريق الآثم على يدّ متطرف صهيوني عام 1969 والذي دمّر أكثر من ثلث المسجد، وأحرق منبر صلاح الدين التاريخي، فأمر جلالة الملك بترميم المسجد ترميما جذريا، وقد بلغت كلفة ذلك الإعمار أكثر من 19 مليون دينار أردني دون مساهمة من أي دولة إسلامية وغير إسلامية إلا النزر اليسير، وكذلك فقد تم تذهيب قبة الصخرة المشرفة بالذهب الخالص بكلفة مالية وصلت إلى عشرة ملايين دينار تبرّع جلالته منها من جيبه الخاص بثمانية ملايين وثلاثماية وخمسون ألف دينار أردني والذي انتهى العمل بها عام 1993.

- الإعمار الرابع:

أما في عهد جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله الذي شهد ثورة عمرانية بمشاريع كبيرة، حيث بدأها بإنشاء الصندوق الهاشمي لإعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة، وترأس الصندوق سمو الأمير غازي ابن محمد كبير مستشاري جلالته للشؤون الدينية والثقافية لإعطاء أهمية كبرى للإعمار، ولتبقى عملية الإعمار في إطار مؤسساتي مستمر تحافظ على المقدسات ولتبقى برونقها وجمالها وروعتها، وقد تم إقامة العديد من المشاريع في هذه المرحلة منها:

- **إعادة وتركيب المنبر الهاشمي للمسجد الأقصى المبارك/الحرم القدسي الشريف بتاريخ 2007/02/23 بنفس الهيئة والمواصفات التي كان عليها منبر صلاح الدين الأيوبي والذي أحرق عام 1969 وتم عمل المنبر الهاشمي بهذا الشكل إبداعا وجهدا مباركا في حماية التراث الإبداعي للعالم الإسلامي.**
- **ترميم الجدران الجنوبية والشرقية للمسجد الأقصى ومعها جدران المدرسة الخثنية.**

- **ترميم الزخارف الجصية والفسيفسائية لقبة الصخرة المشرفة، وواجهة الرواق الأوسط في المسجد القبلي، وهي زخارف تحتاج إلى تقنية فنية ودقيقة أعيدت كما كانت في الأصل، والذي هو كنز من إنجازات الفن الإسلامي الإبداعي.**
- **تنفيذ نظام الإنذار المبكر من الحريق في المسجد الأقصى حسب أعلى المواصفات العالمية، وتزويد المسجد بعشر عربات إطفاء مجرورة بالتعاون مع الدفاع المدني الأردني.**
- **توريد ثلاث مولدات كهربائية حديثة للمسجد الأقصى المبارك.**
- **ترميم بلاط وتبليط نحو أربعة آلاف متر مربع من ساحات وممرات المسجد الأقصى المبارك/الحرم القدسي الشريف بعد وضع سبع كوابل كهربائية طول كل واحد منها 504 متر بمشروع هو الأول من نوعه في المسجد الأقصى المبارك.**
- **صيانة سطح الجامع الأقصى بعمل مدّة ميلان تمنع الرطوبة والدلف، وكسوة سقف المسجد بألواح الرصاص بدلا من التالف، وترميم مبنى المتحف الإسلامي لإعادة تأهيله وتأثيثه وافتتاحه.**
- **توريد مائتي طن من الرصاص لأعمال العزل في سطح المسجد القبلي وسطح المتحف الإسلامي، ومصلى النساء بكلفة مالية عالية.**
- **ترميم المصلى المرواني وتنفيذ قضبان الشدّ الربط داخله.**
- **إقامة مختبر ترميم المخطوطات وتزويده بالأجهزة اللازمة بالتعاون مع اليونسكو، وهو مشروع هام لحفظ آلاف الوثائق والمخطوطات التراثية التي تعكس ثراء المدينة الفكري والعلمي، مما يؤكد إسلامية وعروبة المدينة وتم إدخاله للمدرسة الأشرفية بعد عناء طويل وتدخل شخصي من جلالة الملك.**
- **مشروع الإنارة والإنارة الغامرة، ويشمل الإنارة الداخلية لكل المساجد والساحات الخارجية والأسوار ولا زال العمل جارياً في مشروع إنارة قبة الصخرة المشرفة من الخارج.**

- **مشروع الصوتيات المركزي، وتم تركيب نظام صوتيات متكامل للمساجد المسقوفة وساحات المسجد والمآذن وبأجهزة تحكّم وسيطرة خاصة.**
- **مشروع تجديد فرش المساجد جميعها في المسجد الأقصى المبارك/الحرم القدسي الشريف بتبرع مالي من صاحب الجلالة الهاشمية.**

هذا بالإضافة إلى مشاريع للمحافظة على الممتلكات التاريخية والأثرية ذات القيمة الحضارية التي تبرز الطابع العربي الإسلامي للمدينة مثل المدارس التاريخية كالجوهرية والأرغونية، والأشرفية، والمنجكية وغيرها، وخان تنكز وخان السلطان، وترميم السبل كسبيل قايتباي وسبيل قاسم باشا وسبيل البوصيري، وترميم الجدار الجنوبي والشرقي للمسجد الأقصى، وتكية خاصكي سلطان التي تشرف عليها دائرة الأوقاف بإطعام الوافدين للمسجد الأقصى المبارك وسكان البلدة القديمة، وكذلك ترميم قبة الصعود ومقام رابعة العدوية في منطقة الطور، والزاوية الأفغانية وزاوية الخانقاة الصلاحية، وزاوية أبي مدين الغوث، وما قامت به الحكومة الأردنية أيضا من ترميم وصيانة للقبر المقدس في كنيسة القيامة [كوقف مسيحي] وكذلك بركة السلطان، والمساهمة المالية الكبيرة للمستشفى الفرنسي في مشروعه الكبير، وكذلك الحمامات الأثرية [حمام العين والشفا].

إن هذه المشاريع المتوالية يتم تنفيذها من خلال دائرة الأوقاف الإسلامية في القدس والتي هي جزء من وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في عمان، وتتحمل المملكة الأردنية الهاشمية نفقاتها ومصاريفها ورواتب العاملين عليها، والذي يقدر عددهم تسعماية موظف، وتقوم هذه الدائرة بالإضافة إلى تنفيذ هذه المشاريع الهاشمية تقوم بإدارة شؤون المسجد الأقصى المبارك وكافة مساجد القدس وإدارة العقارات والأملاك الوقفية في القدس وصيانتها وحمايتها، وترعى نحو ستة وأربعين مدرسة في المدينة وغير ذلك من الأمور التي هي محط اهتمام الحكومة الأردنية لدعم صمود أهل القدس وبقائهم على ثرى المدينة المقدسة وصيانتها من التهويد وبقائها عربية إسلامية الطابع والهوية الممتدة جذورها إلى خمسة آلاف سنة.

ولا بد من الإشارة والإشادة بهذه المشاريع الوقفية الأردنية لأنها:

- **نهج هاشمي أصيل في الحفاظ على هذه الأماكن الدينية والتاريخية ذات القداسة والمكانة العظيمة في نفوس وقلوب المؤمنين وتعيش في مكنون وجدانهم.**
- **توالي واستمرار هذه المشاريع على مدى قرن من الزمان يتحمّل الهاشميون النصيب الكامل من النفقات والمصاريف لتتم بكل سهولة ويُسر.**
- **تعمل هذه المشاريع على إبراز أصالة المدينة المقدسة وروعتها وبهائها في شتى المجالات والميادين، فهي تهتم بالأمور التالية:**
  - **إبراز مكانة المقدسات الدينية وعراقتها وبخاصة المسجد الأقصى المبارك/الحرم القدسي الشريف.**
  - **العناية بالعمارة الإسلامية التي هي جوهرة الحضارة الإسلامية وما فيها من فنون البناء والزخرفة والدقة والتناسق.**
  - **العناية بتراث الأمة الإسلامية وما يضمه من فكر وثقافة يظهر ذلك في الاهتمام بالمخطوطات والمكتبات والإشراف على التعليم في كافة مستوياته ولا يغيب عن البال التنويه والإشارة بوقفية الملك عبد الله الثاني ابن الحسين في إنشاء الكرسي المكمّل لدراسة فكر الإمام الغزالي بالتعاون مع جامعة القدس.**

إن القدس والمقدسات خط أحمر عند جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين، وعند الهاشميين لا يمكن السماح أو القبول بالمساس بها، وهذه المقدسات وديعة حملوها عُهدة عمرية، ودماً أردنيا، ونضالا قوميا، مستندة إلى الدين والنبوّة والتاريخ والشهادة، كما قال المغفور له الحسين بن طلال.

فأهل القدس ألقوا بالوصاية والرعاية لهذه المقدسات على كاهل الهاشميين، وهم يُثمنون جهودهم ولا يقبلون عنهم بديلا لأنهم كانوا الذخر والسند.

الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

إعداد: عزت محمد دوفش ـ المحرر المسؤول

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجا، كتاب أحكمت آياته، ثم فصّلت من لدن حكيم خبير، هو كلام الله المعجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

اعترف أهل الفصاحة والبيان أنه كلام لا يمكن الإتيان بمثله، إذ لا يُدانيه كلام في اختيار الألفاظ، وقوة السبك، ورصانة التعبير، وارتباط الآيات ببعضها وتناسبها وتناسقها، مما يُعطي دليلاً على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من كلام البشر، وإنه من لدن حكيم خبير. ولو كان من تأليف البشر لما خلا من تناقض واضطراب.

يقول ـ تعالى ـ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾[1].

وقد وقف العلماء على وجوه الإعجاز القرآني، فوجدوا أنها كثيرة تصعب أن تُحصى: إعجاز في أسلوبه وتعبيره، وإعجاز في التشريع والفقه، وإعجاز في إخباره عن الأمم السابقة والبائدة، وإعجاز في إخباره عما سيقع، وإعجاز في عرضه لحقائق الكون والحياة، وإعجاز في معالجته لجوانب الحياة الإنسانية، وتناوله لقضايا تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية... وما إلى ذلك، بحيث يراه كل راسخ في علمه مُعجزاً أيّما إعجاز.

ولقد حظيت دراسة التعبير القرآني بعناية كبيرة من الدارسين، أصابت نظمه وفخامة لفظه، وحُسن اختيار ألفاظه، وقوة جرسه وموسيقاه، وجمال وقع آياته وتناسبها وتناسقها، وتناسب فواتح السور مع خواتمها، فكانت السورة قطعة فنّية متينة السبك، قوية النسج بحشد فنّي رائع بديع.

هذا الإبداع لا يُدركه إلاّ من فتح الله عليه وأنار قلبه وأعطاه القدرة على فهم بلاغة لغة العرب وجمالها، أما منّ كان في قلوبهم زيغ وعميت بصيرتهم وفقدوا

---

1 سورة النساء، الآية 82.

الإحساس بجمال العربية وسحرها، فلا يُدركون هذا الإبداع ولا هذا الجمال، فنرى مثلاً أن المستشرق [نولدكه] وقد تناول القرآن بالبحث والدراسة "يرى أن القرآن ما هو إلا عبارات مشوشة مبتورة، لا ترابط بينها ولكنها تمتاز برصانة العبارة وقوة التشبيه وجماله"[1].

إن هذا المستشرق لم يُدرك أن السورة القرآنية تتسم بالانسجام التام والتناسق الكامل بين آياتها والتي إن اشتملت على أمور متعددة وأغراض مختلفة، ومعانٍ متنوعة، فإن كل ذلك يصبّ في هدف واحد ومقصد واحد لا تخرج عنه، أو بعبارة أخرى أن السورة القرآنية تتسم بوحدة موضوعية وعضوية، تحتاج إلى معرفتها بسبر غور آياتها للوقوف على الروابط بين الآيات ليتبيّن أن الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية وجه من أوجه الإعجاز في هذا الكتاب العظيم.

"ومن المعلوم أن آيات القرآن الكريم نزلت مُنجّمة على مدى ثلاثة وعشرين عاما، وفي أوقات متباعدة، وكان رسول الله ﷺ يُرتبها، فإذا نزل عليه شيء من القرآن، دعا من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية الذي فيها كذا في موضوع كذا"[2].

وكان الترتيب في غاية الإحكام، فإنك تقرأ السورة الطويلة فترى فيها تمام الألفة والتناسق بين آياتها، صلات وثيقة في المعاني والأغراض التي قد تبدو مُتباعدة، ولكن بالتدقيق تجد أنها تصبّ في المحور العام للسورة ونظامها، وخاصة أن السورة ما سُمّيت سورة إلا لأنها تتناول موضوعاً تدور حوله، له حدود ومعالم يتضمنها، مثل سور المدينة يُحيط بمجموعة من البيوت والمنازل، أو مثل البستان له سور يُحيط بالشجر الذي بداخله فيجمعه ويضمّه، وكذلك السورة القرآنية كلٌ مترابط لا تنفصم عُراه، آياتها تتمحور حول قضية مركزية تُشكّل موضوع السورة، أو ما يمكن تسميته النظرة الشاملة والكُلّية لهذه السورة، فنجد أن سورة مثلاً كل آياتها تثبت وحدانية الله ـ عز وجل ـ وتسوق الأدلة والبراهين على صحتها وعلى وجوبها، ونجد سورة تثبت الرسالة السماوية الخالدة وتدافع عن الرُسل، وثالثة تُبيّن البعث وكونه واقعاً لا ريب فيه، وتُسفّه أحلام المنكرين له... وما إلى ذلك.

---

1 أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية، ص 64.

2 حديث حسن صحيح رواه الترمذي في سُننه رقم 3086.

وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن الاهتمام بالوحدة الموضوعية جاءنا بفعل التأثر بالثقافة الغربية والموازين النقدية فيها، إذ يرى النقاد أن النصّ الأدبي يجب أن يتسم بالوحدة الموضوعية، وقد أخذ بذلك بعض المتأثرين بهذه الثقافة من النقاد مثل: عباس محمود العقاد، ومدرسة الديوان الذين أخضعوا القرآن لمقاييس الأدب، وهذا مما لا يليق بكتاب الله، لأنه أسمى وأجلّ من النصوص التي ينتجها البشر، وهو مشهود له بإعجازه.

والحقيقة أن الحديث عن الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية قديم، بل هو سليل نظرية التناسب بين الآيات والسور، والتي تطرّق إليها طائفة من العلماء السابقين الذين كشفوا عن جملة من اللطائف في بيان محاور السور ومقاصدها، مثل: برهان الدين البقاعي في كتابه "نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور**" ومنهم أبو إسحاق الشاطبي في كتاب "**الموافقات في القرآن**"، كما اعتنى بذلك بعض المهتمّين بالتفسير الموضوعي للقرآن ـ حديثا ـ مثل: محمد محمود حجازي في كتابه "**الوحدة الموضوعية في القرآن**" ومصطفى مسلم في كتابه "**مباحث في التفسير الموضوعي**"، وكذلك بعض المفسرين مثل: سيد قطب في كتابه "**الظلال**" وسعيد حوى في "**الأساس في التفسير**". فقبل الشروع في تفسير السورة يُمهّدون بمجمل لموضوع السورة ومحورها العام.**

والوصول إلى معرفة المحور العام ومقصدها يكون سهلاً ويسيرا في السور القصار، فسورة الإخلاص محورها التوحيد، ولا يتطلب الوصول إليه جهداً لوضوح الآيات وقلّة عددها، أما في السور الطوال فتعدد المقاطع وتتشابك، وقد يبدو أنه لا علاقة للمقاطع ببعضها، ولكن بالتأمّل والتدقيق ستجد أنها تدور حول محور واحد من أولها إلى آخرها، ونوضّح ذلك بمثالين:

الأول: **سورة البقرة وهي أطول سور القرآن تبلغ آياتها مائتين وستا وثمانين آية، عرضت في مقدمتها صفات المؤمنين والمنافقين، ثم عرضت قصة آدم ـ عليه السلام ـ وخروجه من الجنة، ثم تناولت الحديث عن بني إسرائيل وما صدر عنهم من مخالفات، ثم كان الحديث عن الصيام والحج والجهاد، ثم المعاملات المالية.**

ومن حق القارئ أن يتساءل: ما العلاقة بين هذه القضايا؟

يرى صاحب تفسير الظلال أن هذه القضايا يجمعها محور تدور السورة كلها حوله، وهو استخلاف الله للإنسان في الأرض والذي لا يكون إلا للفئة

المؤمنة وليس لغيرها، فالمنافقون لا يصلحون، وآدم ـ عليه السلام ـ حمل الاستخلاف ثم حملها بنو إسرائيل ووقعوا في مخالفات لا تناسب بل تتناقض مع الاستخلاف، وكان لا بد من أن يحمله فئة مؤمنة هي خير أمّة أخرجت للناس، وكان من حكمة الله ـ عز وجل ـ حتى يستمر الاستخلاف إلى قيام الساعة فكان لا بد من تزويد هذه الأمة بتشريعات في كافة مجالات الحياة، من عبادات صلاة وصوم وحج ومعاملات في الحكم والبيوع والربا والدين ليستمر هذا الاستخلاف، فكان محور السورة العام يدور حول هذا الاستخلاف، وإن تعدّدت وتنوعت القضايا تحته.

والثاني: **سورة الكهف والتي تناولت أربع قصص قد يبدو للوهلة الأولى عدم وجود علاقة جامعة بينها، وأولها قصة الفتية الذين فرّوا بدينهم إلى الكهف. وثانيها قصة صاحب الجنتين الذي اغترّ بما حاز من حطام الدنيا. وثالثها قصة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ مع الرجل الصالح، حيث ظنّ موسى أنه أعلم الناس. ورابعها قصّة ذي القرنين الذي أعطاه الله سلطانا في الأرض. إن الرؤية العاجلة تظهر وكأن لا علاقة بين هذه القصص، ولكن بالتأمّل نجد أن هناك رابطا يجمعها وهو الحديث عن الفتن في الدنيا، وهي الفتنة في الدين، والفتنة في المال، والفتنة في العلم، والفتنة في السلطان، والقرآن الكريم يعرض كل فتنة ليُحذرنا من الوقوع في ضلالها، ويعرض كيفية علاجها والوقاية منها.**

إن هذا يدعونا للقول أن إنعام النظر في النصّ القرآني يكشف إعجازا في براعة النظم للسورة الواحدة، والتي تبدو وكأنها أفكار متعدّدة ومتنوّعة ومتباعدة، لكن بالتأمّل نجد أن هناك لُحمة تجمع ذلك بتناسق في العبارات والألفاظ، وتناغم في الفواصل من بدايتها إلى نهايتها، وتصبّ جميعها في موضوع السورة الأساس والرئيس.

وللاستدلال على المحور الرئيس أو ما نسمّيه الوحدة الموضوعية في السورة فلا بد للباحث من الأخذ بما يلي:

[1] عرض السورة عرضاً واحداً برسم خط سيرها إلى الغاية المقصودة، وهذا يتطلب البحث عن الصلات بين مقاطعها وضبط مقصد كل مقطع، ليجد في النهاية أن المقاطع مهما تعدّدت قضاياها تهدف إلى غرض واحد.

[2] استعراض اسم السورة، فقد يكون فيه إشارة إلى مقصودها ومحورها، يقول برهان الدين البقاعي: "إن اسم السورة مُترجم عن مقصودها"[1]. وفي هذا الرأي نظر.

[3] ملاحظة أن في السورة القرآنية عود على البدء، أي أن هناك رابطة مُهمّة بين بداية السورة ونهايتها، تهدي إلى المقصد الذي يقتضيه السياق[2].

فلا بد من التأمّل والتدقيق والملاحظة والاستدلال بما توحيه المقاطع لمعرفة المحور العام للسورة. يقول مصطفى مسلم: "وكما أن الهدايات تجتمع في القرآن بتمامه، فإن هذه الهدايات منبثة ـ أيضا ـ في سورة بصورة تجلّ عن الوصف، يراها من ينعم النظر فيها، فيجد لكل سورة وحدة تجتمع عليها آياتها وإن تعددت موضوعاتها، ويحسّ فيها روحاً تسري بين أجزائها، ووشائج تربط بينها، ومقصدا يجمعها... وتتجلى مهمة الباحث في الكشف عن الهدف الجامع الذي تدور حوله السورة، وطريقته أن يستوعب الباحث أهداف السورة المنبثة في أسبابه نزولها وترتيبها ومكيها ومدنيها وأسمائها وعدد آياتها ومقاصدها الفرعية، وأساليب عرضها، والمناسبات بين مقطاعها"[3].

وإن معرفة المحور العام للسورة تُعطي ثِماراً وفوائد منها:

- أنها تؤدي إلى فهم واضح صحيح للقرآن الكريم، وتحفظ من الحيرة والتخبّط في ترجيح معنى على آخر، بل وتُكسب المفسّر قناعة بالمعنى الذي اختاره.
- أنها تضيق الخلاف الناجم عن كثرة الآراء التي وردت عند المفسّرين السابقين.
- أنها تساعد المفسّر في الاحتراز من الإسرائيليات وتُعينه للردّ عليها، والوقوف على حقيقة الروايات وتمييز صحيحها من ضعيفها.

1 البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1/19.

2 WWW ahlalhadeeh.com

3 مصطفى مسلم، مباحث في علوم التفسير الموضوعي، ص 13.

- **أنها مدعاة لاستنباط حكم ولطائف ونكات من خلال تدبّر النص القرآني الذي يفتح فيوضا إيمانية روحانية[1].**

هذا القرآن كتاب عليّ عزيز، إعجازه متجدد، فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يعطينا القدرة على تلاوته وفهمه، ويفتح علينا لندرك أسراره، ويعلمنا منه ما جهلنا وأغلق علينا، ويجعله يوم القيامة شفيعاً لنا.

وصلى الله على سيدنا محمد

الغضبُ لله سبحانه وتعالى

أ. د. حسام الدَّين عفانة / جامعة القدس

معنى الغضب لله ـ سبحانه وتعالى ـ أن المؤمن يغضبُ عندما تُنتهك محارمُ الله ـ سبحانه وتعالى ـ والغضبُ لله ـ عز وجل ـ سنةُ النبيين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فهذا أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعا قومه إلى توحيد الله ـ تعالى ـ ونبذ عبادة الأصنام، فلما لم يستجيبوا له غضب لله ـ تعالى ـ فحطم أصنامهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[3].

وهذا نبيُّ الله موسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ قال ـ تعالى ـ عنه لما علم أن قومه اتخذوا العجل:

---

1 Mldad. Com article

2 سورة الصافات الآية 3.

3 سورة الأنبياء الآية 58.

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (1).

وقال ـ تعالى ـ واصفاً غضبةً أخرى لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (2).

فغضب موسى عليهم وأنكر قولهم وقال: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (3).

وقد ضرب نبينا محمدٌ ﷺ أروعَ الأمثلة في الغضب لله ـ تعالى ـ في مواقف كثيرة أذكر منها: عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"(4).

وفي رواية البخاري عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ"(5).

---

1 سورة الأعراف الآية 150.
2 سورة الأعراف، الآية 138.
3 سورة الأعراف الآيات 138-140.
4 رواه مسلم.
5 أخرجه البخاري رقم 6786 ومسلم 2327

وعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ"[1].

وعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مُظْلِمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ،مَا لَمْ يُنْتَهَكْ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ، فَإِذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا"[2].

وعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ: "أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ، إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: (يا أيُها الناس إنما ضلّ من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)[3].

وعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت: "رخَّص رسول الله ﷺ في أمرٍ، فتنزَّه عنه ناسٌ من النَّاس، فبلغ ذلك النَّبي ﷺ فغضب حتَّى بان الغَضَبُ في وجهه، ثمَّ قال: (ما بالُ أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدّهم له خشية)[4].

وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسْدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: (ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أُهْدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أَمْ لا؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار،

---

1 رواه مسلم.
2 رواه الحميدي.
3 رواه البخاري ومسلم.
4 رواه مسلم.

أو شاة تيعر) ثمّ رفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: (اللهمّ هل بلّغت؟) ـ مَرَّتَيْنِ ـ[1].

وعن جابر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَ ـ: "أن النبي ﷺ غضب حين رأى مع عمر صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال: (أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي)[2].

الغضبُ لله ـ عز وجل ـ عندما تُنتهك محارمُ الله ثمرةٌ من ثمرات الإيمان، ومن لا يغضب عندما تُنتهك محارمُ الله فهذا علامةٌ على ضعف الإيمان. وقد حكى الله ـ عز وجل ـ أن بني إسرائيل لما لم يغضبوا لله استحقوا لعنة الله على سكوتهم عن إنكار المنكرات، قال ـ تعالى ـ:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3].

ولا شك أن من تعظيم دين الله ـ تعالى ـ الغضبُ إذا انتهكت محارمه ودُنست مقدساته.

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[4].

وفي أيامنا هذه انتهكت حرمات الله انتهاكاً كبيراً من أعداء الإسلام ومن المنافقين والمبتدعة ومن الحكام الظلمة وأعوانهم، فقد اعتدي على القرآن الكريم وعلى النبي ﷺ وطُعن في ثوابت الإسلام وشعائر الدين الظاهرة، وطعنوا في الصحابة الكرام ورموز الإسلام وغير ذلك.

وفي هذا الزمان كثُرَ من يتركون الغضب لله ـ تعالى ـ من المنتسبين للعلم الشرعي، بل منهم من وقف في صف الطاعنين، وقد ذوت حرارةُ الإيمان في قلوبهم، وصاروا أشبه بذوات الدم البارد. وساقوا حججاً واهيةً لتبرير مواقفهم،

---

1 رواه مسلم.
2 رواه أحمد وابن أبى شيبة والبزار، وحسنه العلامة الألباني. وغير ذلك من الأحاديث.
3 سورة المائدة الآيتان 78-79.
4 سورة الحج الآية 30.

كدعوى التسامح في غير محله، وحوار الأديان، ودعوى حرية الرأي والتعبير الكاذبة، ودعوى طاعة ولي الأمر طاعةً عمياء.

ولله در العلامة ابن القيم عندما قال: "أيُ دينٍ وأي خيرٍ فيمن يرى محارم الله تُنتهك وحدوده تُضاع ودينه يُترك وسنةُ رسول الله ﷺ يُرغب عنها وهو باردُ القلب ساكتُ اللسان شيطانٌ أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطانٌ ناطقٌ، وهل بليةُ الدين إلا من هؤلاء، الذين إذا سلمت لهم مآكلُهم ورياساتُهم، فلا مبالاة بما جرى على الدِّين، وخيارُهم المتحزنُ المتلمظُ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله، بذل وتبذل وجد واجتهد واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم، كان غضبُه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدِّين أكمل. وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثراً أن الله ـ سبحانه ـ أوحى إلى ملكٍ من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال يا رب كيف وفيهم فلان العابد فقال: "به فابدأ فإنه لم يتمعر وجهه في يوم قط".

وذكر أبو عمر في كتاب التمهيد "أن الله ـ سبحانه ـ أوحى إلى نبيٍ من أنبيائه أن قال لفلان الزاهد: أما زهدك في الدنيا: فقد تعجلت به الراحة، وأما انقطاعك إليَّ: فقد اكتسبت به العز، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك، فقال يا رب وأي شيءٍ لك عليَّ؟ قال هل واليت فيَّ ولياً أو عاديت في عدواً؟"[1].

إن أمة محمد ﷺ نالت فضيلة الخيرية بين الأمم لأنها أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر كما قال ـ تعالى ـ فيها:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

---

1 إعلام الموقعين 177/2.
2 سورة آل عمران الآية 110.

ولا شك أن أعداء الإسلام سعوا جاهدين لإلغاء هذه الخيرية وإضعافها في نفوس المسلمين، وسعوا في تدجين المشايخ في الدرجة الأولى، لقتل الحمية للدِّين في نفوس المسلمين.

قال الشيخ الدكتور إبراهيم الحقيل: "وإن من أعظم ما يسعى إليه الكفار والمنافقون قتلَ الغضب لله ـ تعالى ـ في قلوب المؤمنين، ومحوَ حميتهم لدينه، وإزالةَ الغيرة على حرماته، وتحويلَ دينهم إلى دينٍ باردٍ فاترٍ على غرار ما فعل علمانيو أوروبا بقساوسة النصارى؛ إذ تُنتهك حرماتُ الدِّين النصراني، ويشتمُ المسيح وأمه ـ عليهما السلام ـ ولا تطرف أعين الرهبان غضبًا لمقدساتهم".

إن نيل أهل الكتاب من النبي ﷺ والاستهزاء به، وتصويره بأبشع الصور، وتدنيس القرآن وإحراقه، والطعن في الإسلام، واتهامه بشتى التهم، وكذلك فعلُ المنافقين في السخرية من دين الإسلام، وتصحيح كفر الكفار، وتفضيل الكافر على المسلم، مع الطعن في شعائر الدين الظاهرة، والاستهزاء بأحكامه المحكمة المنزلة، وكذلك فعل المبتدعة في السخرية من السنة النبوية، والنيل من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ واتهام النبي ﷺ في عرضه وزوجه الطاهرة المطهرة الصديقة بنت الصديق كل هذه الأفعال العدوانية من قبل الكفار والمنافقين والمبتدعة التي يفعلونها تحت شعارات حرية الرأي، وادعاء الإصلاح يُراد منها تحطيم المقدس في قلوب المسلمين، وتهوين الدِّين عندهم، وتحويل دينهم إلى دينٍ باردٍ فاترٍ ميتٍ كما هو دين النصارى، لا يعدو أن يكون شعائر تعبديةً تخص المرء ولا تتعداه.

إنهم بهجومهم المتكرر على شعائر الإسلام ورموزه وأحكامه يريدون قتل إحساس المسلمين، وإماتة غيرتهم تجاه دينهم؛ ليسهل عليهم تحريفه وصرفهم عنه، وما كان أنبياء الله ـ تعالى ـ إلا غضابٌ لله ـ سبحانه وتعالى ـ غيارى على دينه، وما أرسلت الرسل إلا لإيقاد جذوة الإيمان في القلوب، وغرس الغيرة عليه في النفوس، وتربية الناس على الحمية لدينهم، وهكذا كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كما روى ابن أبي شيبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله ـ تعالى ـ قال:"لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَحَزِّقِينَ، وَلا مُتَمَاوِتِينَ، وَكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ

الشِّعْرَ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَيَذْكُرُونَ أَمْرَ جَاهِلِيَّتِهِمْ، فَإِذَا أُرِيدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، دَارَتْ حَمَالِيقُ عَيْنَيْهِ كَأَنَّهُ مَجْنُونٌ" أي: من شدة الغضب لله ـ تعالى ـ والانتصار لدينه.

فإياكم عباد الله أن يُطفئ الكفارُ والمنافقون جذوةَ الغضب لله ـ تعالى ـ من قلوبكم، والحميةَ لدينه، والغيرةَ على حرماته، بكثرة استفزازاتهم، وتعديهم على الحرمات، وانتهاكهم للمقدسات؛ فإن خيار البشر من الرسل وأتباعهم كانوا أشدَّ الناس غضبًا لله ـ سبحانه وتعالى ـ وحميةً لدينه، وغيرةً على حرماته، فكونوا كما كانوا"[1].

والله الهادي إلى سواء السبيل

رسائل نبوية في ذكرى

الـمولد النبوي الشريف

د: خالد الغزاوي

قال ـ تعالى ـ: * لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ*[2].

أخي القارئ الكريم:

ما أعظم أن تأتي ذكرى المولد النبوي الكريم على أمّة الإسلام في هذا الوقت العصيب، فتمسح الأحزان، وتذهب الهموم والأنكاد عن القلوب المحزونة، والنفوس الكئيبة في هذا العالم الذي داس على كل القيم والأخلاق، وصارت الأنانية وحُبّ الذات ونيل المطامع وحب الدنيا هي القيم البديلة عن مبادئ الدين والعدالة والزهد في الدنيا وحُبّ الآخرة.

---

1 https://khutabaa.com/forums/%D9%85%D9%88%D8%B6%D9%88%D8%B9/136120#.Wyc2X1VvYdU

2 **سورة التوبة، الآية 128.**

وما أجمل هذه المناسبة الطيبة، ذكرى مولد الهادي الحبيب ﷺ لنرى من خلالها جمال الكون، وعظمة الإسلام، ولنرى من خلالها كذلك تسبيح الكون وصلاة الخلائق لله رب العالمين. لأن هذا النبي العظيم كان جديرا بكل خلق عظيم، وبكل محبّة ورحمة، أكمل الله ـ تعالى ـ به الدين، وجعله رحمة للعالمين، وقد أثنى عليه ربّ العزّة بقوله:

*** وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ*[1].**

وبقوله ـ تعالى ـ: * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ*[2].

بهذه اللمسة من الرحمة النبوية، وبهذا الجمال الخلقي لنبينا ﷺ، وبهذه المحبّة بنى الله ـ تعالى ـ هذا المجتمع المؤمن، وبهذا النبي ﷺ كرّم الله ـ تعالى ـ به أمّة الإسلام، وجعلها خير أمّة أخرجت للناس، فكان ﷺ حقاً رحمة للعالمين وللإنسانية جمعاء، فأحبّه الكون؛ كل الكون، وكنا أسعد الأمم والمخلوقات، حيث ميّزنا الله ـ تعالى ـ بأننا أتباع هذا النبي الكريم، وحمله لشريعته الغرّاء، وأعظم بها من نعمة نفاخر بها الكون، ويُسجلها التاريخ بأحرف من نور شرفاً وكرامة وفخرا وعزا ونصرا.

هكذا بنى الله ـ تعالى ـ هذا المجتمع، وهذه القلوب، فهو المجتمع الفاضل، وهي القلوب التي طهرها الله ـ تعالى ـ من الأحقاد والأنجاس، وهي الأسرة السعيدة، والبيت المسلم التي تتسلّم إرث الأجيال وأمانة الأجداد والآباء التي تفيض بالحنان والحب والتقوى، والصلة والترابط واللطف والرحمة، ذلك أن السعادة والفضيلة لن تتحقق وفق المقاييس المادّية، فهي ليست طعاما أو شرابا أو شهوات دنيوية فقط، بل هي أعظم من ذلك، إنها الالتزام بحبّ الله ـ تعالى ـ وحبّ رسوله الكريم، وهي الاتباع الصادق، والخلق الفاضل، والحفاظ على حدود الله ـ تعالى ـ بل هي الحفاظ على قيم الحلال والحرام والأخلاق الفاضلة، بهذا كان المجتمع والبيت والفرد والأسرة يحسّ بهذه النعمة المباركة، وتمتلئ بأجواء السكينة والسعادة والحبور. حيث يتحمّل جميع الأفراد مسؤولياتهم ويتقاسمون الأدوار في ظل التعاون المشترك،

---

1 سورة القلم، الآية 4.

2 سورة الأنبياء، الآية 107.

ومشاعر المحبّة الصادقة التي تربط بين الجميع، بل يتعدى الأمر الأسرة الواحدة إلى الأقارب وما هو أبعد من ذلك إلى الأمة، وحب الوطن والانتماء إلى العزّة والاعتزاز بهذا الدين وبالهوية الإسلامية، في ظل الالتزام بالمبادئ النبوية التي حثنا عليها رسول الله ﷺ كالأمر بحُسن الجوار والنصيحة لكل مسلم، وعماد ذلك قوله ـ سبحانه وتعالى ـ:

*** وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ*[1].**

وتحمل هذه الذكرى العطرة عدّة رسائل مهمة لأمة هذا النبي الكريم، ولهذا العالم الذي يُحارب الإسلام ويستضعف المسلمين وينادي في هذه الأمة أن ارجعوا إلى قرآنكم:

*** وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ*[2].**

وتذكروا أجدادكم والرعيل الأول من المسلمين من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباعهم كيف فتحوا العالم بنور الإسلام وعدل التوحيد، وكيف أقاموا إمبراطورية العدْل في أقل من ربع قرن من الزمان، قضوا خلالها على إمبراطورية فارس والروم، حقاً بدأ هذا الدين غريبا في سرعة نهضته وفي القضاء على الظلم آنذاك، وعلى الجاهلية التي صاحبت الناس ذلك العهد، فأنّى لأمة العرب أن تتبوأ هذه المكانة، وأن تحصل على هذه القوّة لولا هذا القرآن، ولولا هذا النبي، وهذه الشريعة العظيمة التي أكرم الله ـ تعالى ـ بها العرب ومن سواهم ممن آمن بهذا الدين.

(بدأ هذا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء)[3]. **وتأتي هذه الذكرى الطيبة عاماً بعد عام لتُذكّر أمّة الإسلام بهذه الحقيقة، ولتبث فيهم هذه البشرى بعودة الإسلام إلى هذا العالم ليؤدي دوره في محو الظلم وإعادة العزّة والنصر والمجد والتمكين لهذه الأمة. وأن الله ـ تعالى ـ قد اختاركم واختار مصيركم**

---

1 سورة المائدة، الآية 2.
2 سورة آل عمران، الآية 139.
3 أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند.

أن تكونوا مرابطين في أرض الإسراء والمعراج، ولتكونوا من جُند رسول الله ﷺ الأوفياء لدينه الحريصين على شريعة الله ـ تعالى ـ أن تُهان.

حقا هذه الأمة المباركة على موعد مع نصر مؤزّر مبين لهذا الدين ولاتباع هذا الدين، وما نمرّ به من فتن تعصف بالمسلمين هنا وهناك إنما هو علامة على نهاية الظلم وقرب مجيء دولة الإسلام العالمية التي ستملأ الأرض قسطا وعدلا ورحمة كما ملئت جورا وظلما، وكما انتصر المسلمون في بدر والقادسية واليرموك وعين جالوت وحطين، فسوف ينتصرون في معركة الحق والباطل، إنها بشرى نبوية مباركة. يقول ﷺ: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار حتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله هذا الدين بعزّ عزيز وبذل ذليل عزا يُعز به الإسلام وذلا يذل به الكافرين)[1].

نعم؛ هذا هو قدرنا وقدركم في هذه الأرض الطيبة أن نذكّر أنفسنا وكل إنسان غيور على دينه نذكركم بواجب الرباط والثبات على الإيمان، وبواجب الالتزام بحبّ القدس، وعشق الأقصى، وقد حمّلكم رسول الله ﷺ هذه المسؤولية، وهذه الأمانة بقوله: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...)[2].

وحتى نحظى بهذا الشرف الرفيع، وأن نكون من الغرباء الذين يعيدون لهذا الدين عزّته ينبغي أن نحرص على تربية أجيالنا وبناتنا وأبنائنا ليكونوا عزا لهذا الدين، لا تهملوهم فيتولى الآخرون تربيتهم من ثقافة الإعلام الفاسد والتوجيه السيئ، ولا تتركوهم ليتولى رفقاء السوء من شياطين الإنس لينغمسوا ـ لا قد الله ـ في الرذيلة وسوء الأخلاق والشهوات الآثمة. احذروا أن يقضي أبناؤكم وبناتكم في سنين المراهقة يقضون أوقاتهم في مشاهدة القنوات والمسلسلات التي تحارب الفضيلة، فيكون هؤلاء الممثلون والممثلات قدوة لأبنائكم وبناتكم وهم يقعون حقاً في هذا المستنقع حين لا يوجد بديل تربوي سليم يحذرهم من سوء المصير، في حين غاب عنهم تاريخهم وعن واقعهم تلك القدوة الصالحة بسبب عدم التزام الأهل والوالدين وبسبب البعد عن القرآن وتعاليم النبي ﷺ.

---

1 أخرجه الإمام أحمد في المسند.
2 متفق عليه.

أين نحن من التربية القرآنية في قضية امرأة عمران التي قالت لربها: *رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ*[1].

وقد كانت في مرحلة الحمل قبل الولادة، أو تلك التربية من لقمان ـ عليه السلام ـ وهو يعظ ابنه:

*** يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ*[2].**

ثم وهو يأمره بتقوى الله واقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبعد عن الخيلاء والغرور وما درج عليه بعض الشباب من المفاسد الأخلاقية كرفع الأصوات المنكرة ونحو ذلك.

وأين نحن من التربية النبوية الفاضلة التي ربّى فيها النبي ﷺ شباب الإسلام ليكونوا أبطالا، حيث كان كثير من هؤلاء صغار السن كأسامة بن زيد الذي ولاه النبي ﷺ قيادة جيش فيه كبار الصحابة وهو دون سن العشرين، وليدرسوا سيرة البطل محمد الفاتح ابن الثالثة والعشرين ربيعا الذي كان بحق من أعظم سلاطين آل عثمان وقادة العالم، والذي كان محور السياسة الدولية في عصره، وصاحب الكلمة ألأولى في شؤونها والذي بدّد أحلام الأحلاف الصليبية، وكان اسمه يثير الهلع والرعب في نفوس أعدائه الأوروبيين عشرات السنين بعد وفاته. وهو الذي فتح القسطنطينية، والذي قال ﷺ في حقّه: (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير ذلك الأمير ولنعم الجيش ذلك الجيش**)[3].**

بهذا ندرك ماذا خسرنا نحن المسلمين، وماذا خسر العالم الإنساني بسبب انحطاط العالم الإسلامي وبُعد المسلمين عن دينهم وأسباب مجدهم وعزتهم، حيث أصبح العالم أشبه بالغابة القوي فيها يأكل الضعيف، وانحدر الكثير نحو الهاوية وغرقوا في الظلم وسفك الدماء واتباع الشهوات، حيث لم يوجد من يقدم لهم القدوة الصالحة التي تعتز بدينها وإسلامها وبرسولها ﷺ.

---

1 سورة آل عمران، الآية 35.
2 سورة لقمان، الآية 13.
3 رواه الهيثمي في مجمع الزوائد رقم 6/221 ورجال ثقات.

والمسلمون اليوم وأفراد المجتمع الإنساني قاطبة وعلى جميع الأصعدة وأخصّ قادة الفكر والسياسة مدعوون لأن يتعلموا من هذا الرسول ﷺ معنى الإنسانية وحقوق الإنسان، وماهية العدالة والمساواة والكرامة، وأن يحكموا شعوبهم بعيدا عن سياسة الخداع والتضليل والكذب، وأن يتوقفوا عن استعباد الشعوب وقهرها وأكل ثرواتها، إن هي أرادت أن تحيا بسلام وتحظى بالأمن والخلاص من مشكلاتها، وأكثر من هذا أنها تحظى بسعادة الدنيا والآخرة. وهذا بلاغ لذوي الألباب والعقول والبصائر.

قال ـ تعالى ـ: * لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ*[1].

الإسلام يدعوك ـ أخي المؤمن ـ ورسوله ﷺ يدعوك ويدعو كل الإنسانية لأن ينهلوا من المائدة الإلهية من هذا الدين ما يصلحون به مجتمعاتهم، ولأن يكونوا من خير أمة على وجه الأرض، وأن يكونوا مسلمين حقا، لأن الإسلام هو دين البشر، ودين الكون الذي ارتضاه لنا الله الخالق ـ سبحانه وتعلى ـ:

*** إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ*[2].**

حينها نستطيع أن نكون من جديد بناة للعلم والحضارة، نفتح العقول والبلاد، ونحقق الإنجازات، وأن نكون كما كان أصحاب النبي ﷺ نجوما متلألئة في ظلمات هذه الدنيا.

فيها أيها السياسيون، ويا قادة الفكر وكل مخلص في هذا العالم، ويا من تريدون الخير لهذه الإنسانية وإبعاد شبح الخوف والشقاء والفقر والمجاعة، عليكم بسيرة هذا النبي العظيم، ادرسوها جيدا، وعليكم بأقواله وأفعاله ومواعظه، اعملوا بها وطبقوها، وندعوكم وندعو أنفسنا إلى مزيد من الحب لرسول الرحمة الذي قال: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لحب الله لي وأحبوا أهل بيتي لحبي)[3].

---

1 سورة آل عمران، الآية 164.
2 سورة آل عمران، الآية 19.
3 حديث حسن رواه الترمذي في سننه رقم 3789.

فلتكن طاعة الله وطاعة رسوله ومحبته ﷺ مركزا محوريا لثقافتنا وحياتنا وصولا للأهداف المنشودة.

***وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا*[1].**

القدس والمسجد الأقصى في شعر عدنان النحوي

الأستاذ جميل حسني الكركي

عدنان النحوي شاعر فلسطيني، وداعية إسلامي ومهندس حصل علي شهادة الدكتوراه في الهندسة الكهربائية للاتصالات. نشأ مفطورا على نظم الشعر، ولم يبعد عنه طوال حياته، فالشعر عنده نبض وجدانه، ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره، وذوب أفكاره، فليس عنه غناء، وليس منه بد.

عاشت فلسطين في وجدان الشاعر عدنان النحوي، وامتزجت معاناة الشعب الفلسطيني بخفقان قلبه. وكانت القدس والمسجد الأقصى يسكنان في صدره وذاكرته حتى آخر أيام عمره. ولا تخلو معظم قصائده الإسلامية والوطنية من الإشادة بهما، والحنين إليهما، وتقديس مكانتهما الإسلامية والعربية، والحث على الجهاد لتحريرهما. وكان الشاعر يصدر في قصائده القدسية من موقف عقدي إسلامي، ومن موقف وطني فلسطيني ما دام ذا عروة وثيقة مع الفكر الإسلامي.

تهدف هذه الدراسة إلى ترجمة حياة الشاعر وبيان رحلته مع الشعر ومرجعها ما كتبه في سيرته الذاتية في ديوانه (مهرجان القصيد**)، وإلى تحليل قصيدتين من قصائده القدسية، وهما: قصيدة رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين، وقصيدة القدس في خطر.**

إضاءة على حياة الشاعر:

---

1 **سورة البقرة، الآية 143.**

شاعرنا هو عدنان علي رضا النحوي، ولقب النحوي الذي تحمله عائلته أطلقه والي عكا على أحد أجداده حين مرّ بها قادما من القاهرة بعد أن أنهى دراسته في الأزهر، وكان لا يتكلم إلا اللغة العربية الفصيحة، فسمّاه النحوي تقديرا له وإعجابا به، وولّاه القضاء في صفد.

ولد عدنان علي رضا النحوي في مدينة صفد في شمالي فلسطين في الخامس عشر من شهر كانون الثاني عام ألف وتسعمئة وثمانية وعشرين (1928/1/15م). ونشأ في بيت دين وفقه وعلم وثقافة، إذ كان أجداده وأعمامه علماء وقضاة، ورجال قانون وإدارة، وأدباء وشعراء، فشرع منذ صغره ينهل من هذا الجو الغني بالثقافة، ومن مكتبة عائلة النحوي المشهورة.

ونما عود شاعرنا في صفد الجميلة الهادئة التي تفترش قمم جبال الجليل الغربية، وتطل على بحيرة طبرية وسهول بيسان، وتطل على جبال الشام ولبنان، وترفع عنقها متأملة قمة جبل الجرمق أعلى جبال فلسطين.

شهدت السنوات التي عاشها شاعرنا في صفد ثورات متتابعة ضد الاحتلال البريطاني ومساندته للتواجد الصهيوني، وكان لوالده علي النحوي دور نضالي، إذ كان من أعيان صفد، ومن المجاهدين البارزين الذين قادوا الثورة في الثلاثينيات من القرن العشرين، وخاصة ثورة ألف وتسعمائة وستة وثلاثين (1936م)، فطاردته القوات البريطانية مطاردة دفعته إلى مغادرة صفد نحو دمشق، ثم لحقت به أسرته.

وانتقاما منه قامت قوات الاحتلال البريطاني بهدم بيته. وكم كان والد الشاعر قلقا على مكتبة العائلة، وكم حمد الله عندما عرف أن بعض أقاربه وأصحابه قد أنقذوا المكتبة قبل هدم البيت بنقل ما فيها من الكتب والمخطوطات إلى بيوتهم.

وعادت أسرة الشاعر إلى ربوع صفد الجميلة عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين (1943م) وما كادت الأسرة تنعم بالاستقرار حتى هاجرت ثانية إلى دمشق عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين (1948م) عام النكبة الذي شهد هجرة معظم أبناء فلسطين نجاة من جرائم الاحتلال الصهيوني الغاشم في معظم أرض فلسطين.

غادر شاعرنا فلسطين وعمره عشرون سنة أنهى خلالها دراسته الابتدائية والثانوية والتخصصية. كانت دراسته الابتدائية ومدتها سبع سنوات في صفد، وأما

المرحلة الثانوية ومدتها أربع سنوات فقد درس السنتين الأولى والثانية في عكا، وأكمل دراسة السنتين الثالثة والرابعة في الكلية العربية في القدس، وفي نهاية السنة الرابعة تقدم لامتحان "الاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني" أو ما كان يسمى (متركيوليشن) وبعد امتحان الاجتياز أكمل دراسته في القسم العلمي في الكلية نفسها سنتين أخريين وتخرج فيها عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين (1948م) حاصلا على شهادة دار المعلمين في التربية والتعليم والشهادة الجامعية المتوسطة واسمها (انترميديت).

تخرّج الشاعر في الكلية العربية عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين (1948م) وفي العام نفسه هاجر إلى دمشق، وفي مدارسها حمل على كتفيه عبء مهنة تعليم اللغة الإنكليزية خمس سنوات، ثم حمل العبء نفسه مدة ثلاث سنوات في مدارس الكويت. ودفعه طموحه وحرصه على طلب العلم إلى السفر إلى القاهرة، وأقام فيها خمس سنوات وهو يدرس في جامعتها الهندسة الكهربائية للاتصالات. وفتح له تخصصه باب العمل في الإشراف الفني على إذاعة مدينة حمص في الجمهورية السورية مدة ثلاث سنوات، ثم غادرها إلى مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية عام ألف وتسعمائة وأربعة وستين (1964م) حيث عمل في وزارة الإعلام قرابة خمسة عشر عاما، إذ كان المشرف الفني على المشاريع الإذاعية في الرياض والمسؤول عنها منذ نشأتها حتى أصبحت شبكتها الإذاعية المسموعة ثم المرئية تغطي السعودية ومسافات نائية من الكرة الأرضية.

وفي أثناء عمله في وزارة الإعلام السعودية طوَّف في عدد من الدول والمدن الأوروبية وبخاصة فرنسا، للمشاركة في كثير من الدورات العلمية واكتساب المزيد من الخبرات الفنية في المهارات الإعلامية والإذاعية، واستمر في متابعة تحصيله العلمي في هندسة الاتصالات حتى نال شهادتي الماجستير والدكتوراه من الجامعات الأمريكية.

وتقديرا لنشاطه في العمل الإذاعي وحرصه على تطوير المشاريع الإعلامية في الرياض منحته السعودية جنسيتها عام ألف وتسعمائة وثمانية وسبعين. وفي هذه السنة دخل في صراع مع مرض شرايين القلب، فانقطع عن وظيفته وعمله في نهاية العام نفسه، ولما اشتد به المرض أجرى عمليتين جراحيتين لشرايين القلب

بين الأولى والثانية ستة أشهر، وألزمته العمليتان البقاء في البيت. ولكن هيهات لمثل هذا الرجل العلامة أن يخذل شغفه بالقراءة والكتابة، بل تفرغ للدراسة والبحث والتأليف في الاتجاهات الأدبية والفكر الإسلامي، وبقي يدرس ويبحث ويؤلف غير مكترث بما يعانيه من المرض، ولم يثنه مرضه عن دراسة واقع الأمة الإسلامية والشعوب العربية، والمشاركة في المؤتمرات الثقافية والإسلامية، وفيها كان يصدح بما نظمه من الشعر، ويحاضر بما كتبه من الدراسات في الدعوة إلى الإسلام، وإبراز الأهمية العقلية والإنسانية للفكر الإسلامي.

وما جفّ قلمه في الكتابة الأدبية والإسلامية، وما سكت لسانه في الوعظ وبيان عظمة الدين الإسلامي، وما توقف عقله عن التفكر بوطنه فلسطين إلا لحظة صعود روحه إلى بارئها وعمره يناهز سبعة وثمانين عاما في الثاني عشر من كانون الثاني عام ألفين وخمسة عشر (2015/1/12م) وتم دفنه في مقبرة النسيم في الرياض.

رحلة النحوي مع الشعر:

نشأ شاعرنا مفطورا على الشعر، فكان يدعى لإلقاء بعض القصائد من الأدب العربي أو الأدب الإنجليزي مما كان يحفظه أمام طلاب المدرسة، أو في بعض المناسبات المدرسية واحتفالاتها في صفد وعكا.

وفي أثناء دراسته في الكلية العربية نضجت موسيقى الشعر في طبعه، إذ تعلمها على يدي أستاذه الدكتور إسحق موسى الحسيني. وفي هذه الفترة انطلقت رحلته الشعرية، ونما نشاطه الشعري الذي كان يصدر عن عاطفة وطنية إسلامية، وظلت قضية فلسطين وأحداثها تلح عليه بقوة نظم شعر وطني إسلامي في الثورة الفلسطينية ورثاء شهدائها وتمجيد بطولاتها. ومعظم قصائد ديوانه الأول (الأرض المباركة) نظمها شاعرنا أثناء دراسته في الكلية العربية (1944- 1948م) وقد نظمها على أوزان الشعر المعروفة في علم العروض.

يغلب على موضوع القصائد التي نظمها في بداية رحلته الشعرية وصف الطبيعة الجميلة في صفد، و حيفا، وعكا، وبحيرة طبرية. وفي أثناء دراسته في الكلية العربية بدأ ينهل معانيه وألفاظه من معين ثقافته الإسلامية في نظم شعره، ومع بداية عمله في التعليم أصبح الدين الإسلامي زاده في نظم الشعر، واستمر نمو

هذا الزاد حتى أصبح اتجاها شعريا يصور المكانة الإسلامية لفلسطين، ويدعو إلى الاعتصام بحبل الله للدفاع عنها وتحرير المقدسات الإسلامية فيها. وهيمن هذا الاتجاه على شعره الذي نظمه في قضايا وطنه فلسطين، حتى أصبح خصيصة موضوعية في دواوينه الشعرية، قوامها تلاحم الخيوط الوطنية والخيوط الإسلامية في نسيج القصيدة الفلسطينية.

نظم عدنان النحوي شعره في عدة مجالات، فجمع بين الإسلاميات والوطنيات والإخوانيات والاجتماعيات وكان يرى أنه من السباقين إلى نظم الشعر الإسلامي، إذ نظم عدة قصائد في قضايا عدد من الدول الإسلامية ونضالها الإسلامي. وجمع شاعرنا ما نظمه من الشعر في ستة دواوين، وكان يدون بعد كل قصيدة تاريخ نظمه لها. ودواوينه مرتبه حسب عام صدورها الأول:

[1] ديوان الأرض المباركة، عام 1978.

[2] ديوان مواكب النور، عام 1980.

[3] ديوان جراح على الدرب، عام 1985.

[4] ديوان مهرجان القصيد، عام 19935.

[5] ديوان عبر وعبرات، عام 2000.

[6] ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل، عام 2005.

وكان عدنان النحوي في دواوينه يحرص على سلامة الشعر العربي شكلا وموضوعا، و يرفض أي شكل شعري غير الشكل المألوف في الشعر العربي الأصيل، وأي شكل شعري لا يلتزم ببحور الشعر العربي، فرفض ما يعرف بالشعر الحر، ولم ينظم عليه أية قصيدة. بل كان يسخر منه ويسميه (الشعر المُتَفَلِّت).

قصيدة رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين:

نظم الشاعر عدنان النحوي قصيدته "رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين**" في العشرين من شهر أيار عام ألف وتسعمائة وثمانية وتسعين (1998/5/20م)، وعدد أبياتها تسعة وخمسون (59) بيتا، ونظمها الشاعر على البحر الطويل، ودوّنها في ديوانه (عبر وعبرات) الذي صدرت طبعته الأولى عام (2000م).**

والبنية الفنية في القصيدة تستند إلى التشخيص، أي إضفاء الصفات الإنسانية والبشرية على المسجد الأقصى، فهو يكتب رسالته للمسلمين، وقلبه تموج فيه عدة حالات شعورية: الألم والشكوى، والسخرية والتوبيخ، والصبر والتحدي، والتفاؤل والأمل. ورسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين تفصح عن أربعة مضامين عبر عنها المسجد الأقصى:

المضمون الأول:

أنا المسجد الأقصى كنت منذ عهد النبوة والخلفاء الراشدين وديعة المؤمنين، أسكن في قلوبهم وعيونهم، وتحرسني سيوفهم، وكثيرا ما زحفت مواكب النور منهم تلبية لنداء الجهاد، وعودة الحياة الندية إلى دياري، يقول المسجد الأقصى:

لقد كنتُ بين المؤمنين ... على الدهرِ ما هبّوا إليّ
وديعةً يضمّون أحناءَ عليّ ... وسارعوا وتحرسني منهم
وأعينا مواكبُ نورٍ يملأ ... سيوفٌ قواطعُ فيُشرقُ
الدهرَ زحفُها ... منها غيهبٌ ومطالعُ

وكأن المسجد الأقصى في هذه الأبيات يسأل العرب والمسلمين عامة في حاضرنا: أين الوديعة التي استأمنكم الله عليها؟.

المضمون الثاني:

أنا المسجد الأقصى أسأل قومي مستنكرا وموبخا: ما بالهم تقاعسوا عن حمايتي وتخاذلوا عن حريتي؟ ما بالهم تركوا ميادين الجهاد واتخذوها مراتع للمهرجانات الخطابية الفارغة؟ ما بالهم صيروا النداء إلى تحرير الأرض شعارات مدوية في الهواء؟ يقول:

ما بالُ قومي غابوا ... وما عادَ في الآفاقِ منهم
وغُيّبوا وكانت ميادينُ ... طلائعُ فصار لهم ملءَ
الشهادة ساحَهم وكان ... الدّيار مراتعُ فصار يُدوّي
يُدوّي في الميادين جولةٌ ... بالشعاراتِ ذائع

والشاعر في هذه الأبيات كرر الفعل (غاب) المبني للمعلوم و(غُيّب) المبني للمجهول للتأكيد على صفة الغياب الراسخة في أنفس أمة العرب والمسلمين

وأفعالهم. و الاستفهام (ما بالهم) يصور مدى تقاعس العرب والمسلمين وتخاذلهم عن القيام بواجبهم الذي كانوا عليه في غابر الأزمان في أيام العزة والكرامة.

المضمون الثالث:

أنا المسجد الأقصى باق مهما حاول المعتدون والطامعون النيل مني، وسأبقى أحمل أعظم رسالة سماوية نزل بها الوحي، ألا وهي رسالة الإسلام الخالدة، وسأظل مرتبطا برباط مقدس مع مكة والمدينة المنورة، ومشعا لأنوار النبوة والإيمان. يقول:

فما أنا جدرانٌ تدورُ ... ولكنّني أُفقٌ غنيُّ
وساحة يمدّ ليَ الآفاقَ ... وواسعُ ولكنّني أُفقٌ
وحيُ رسالة فمن مُهجةِ ... غنيُّ وواسعُ ومن طيبةٍ
الإسلامِ مكةَ خفقتيٍ ... وحيٌ إلى الحق دافعُ

المضمون الرابع:

أنا المسجد الأقصى، ويح نفسي! ما أكثر المؤامرات التي تمزق أوصالي!، ومنها ما نفذ بأيد متخاذلة ومتعاونة مع مؤامرات المحتلين وأعداء المسلمين، ومن صور هذا التآمر رفع الشعارات الكاذبة، التي رافقتني لعقود طويلة، مثل شعار "التحرير" الكاذب، وشعار "تقرير المصير" المخادع، وغيرها من الشعارات البراقة التي نسجت خيوطها أصابع المكر والغدر، يقول:

وفي كلّ يومٍ، ويحَ نفسي، تُدارُ وأهواءٌ عليها
مسارح تُدار خيوطُ المكرِ تنازعُ وتُعلَن آمالٌ
خلفَ ستارها يقولون [تحرير] عليها لوامعُ عليها
ويُجرون صفقة يقولون شهودٌ ضامنون وبائع
[تقريرُ المصير] وإنّهُ لَتدميرُ آمالٍ: فمُعطٍ ومانع

ومن صور التخاذل أمام المحتلين المفاوضات السياسية، فهي شبيهة بتفاوض الشاة مع الذئب والثعلب، والحرية التي أرجوها لا تتحقق بالمفاوضات، بل بعزم الأمتين العربية والإسلامية عندما تكونان كالبنيان، وتتسلحان بالإسلام، يقول:

يفاوض فيه الشاةَ ذئبٌ وقد مهّدت عبرَ السنينَ الوقائعُ
وثعلبٌ يقولون: أهلُ الدار وأين هُمُ؟ إني إلى اللهِ
أدرى بحالها وأهلي، وما ضارع من الله عزمٌ في
أهلي سوى أمّة لها وصَفٌّ الميادين جامع كأنّهُمُ البنيان:
يشدّ المؤمنين جميعَهم إذا لم عال ومانع فكلُّ الذي يُرجى
تقُم في الأرض أمّةُ أحمدٍ على الساحِ ضائعُ

وينفعل الشاعر بالشكوى التي بثها المسجد الأقصى في رسالته إلى المسلمين، ويجرد من نفسه رسولا عنهم ليواسيه مصورا تعاطف المسلمين معه وحرقتهم عليه، وحزنهم لما يكابده، وحنينهم ولهفتهم له، يقول:

حنانيكَ يا أقصى، حنانيكَ خطَرتَ وشدّتني إليكَ

كلّما فيا أيّـها الأقصـى أنينُك ... النوازعُ تهيجُ به بين الضّلوع
موجـــعٌ حنينُـــك أصـــــداءُ ... الفواجِعُ فصبرًا وما يُدريـكَ
الـعصـور ولهفـةٌ ... مـا الله صـانع

ويختم الشاعر قصيدته بحديث للمسجد الأقصى يحمل رؤيا تفاؤلية، وفي ذلك تشخيص له، وكأنه إنسان يخاطب الشاعر بأنفة وشموخ قائلا: إنني أبي أرفض الذل والهوان، وأحاول إخفاء حزني ودموعي؛ ولكن طغيان الاحتلال وشدة إجرامه أسقطت دمعتي على الأرض، وحتما ستوقد هذه الدمعة الحماسة في قلوب العرب والمسلمين ليشدوا الرحال زاحفين نحوي، ومجاهدين من أجل تحريري وتحرير فلسطين، يقول:

وقـال إبـائي يحجـزُ الـدمعَ ... ولكـنّ حزنـي اليـومَ طـاغٍ
كلّـه جـرت دمعـةٌ فـي الأرضِ ... ودافــعُ عــزائمَ أجيــالٍ
منه فأوقدت تـخـوضُ مـيـادينَ ... وزحفاً يـتابعُ ذُراها تُدوي
الجهـادِ وتعتلـي فلسـطينُ حـقُ ... بالجهـاد الــمجامعُ وهــذا
الـمسلمين جمـيـعِهم ... كتابُ الله بالحقّ ساطـعُ

قصيدة القدس في خطر

في الثامن عشر من شهر نيسان عام ألفين (2000/4/18م.) أقيم مهرجان ثقافي عن قضية فلسطين في مركز الملك سلمان بن عبد العزيز الاجتماعي في الرياض، وأقيم أيضا مهرجان شعري شارك فيه الشاعر عدنان النحوي، وألقى عددا من قصائده الشعرية وهذه القصيدة واحدة منها.

دون الشاعر هذه القصيدة في ديوانه " حرقة ألم وإشراقة أمل" ونظمها على البحر البسيط وعدد أبياتها خمسة وستون بيتا، وبنيتها الموضوعية تقوم على هذا التساؤل: من الملوم على الخطر الذي تعاني منه القدس؟.

[1] نحن، شعوب الأمتين العربية والإسلامية، الملومون على ما تعانيه القدس من أخطار. نحن الملومون؛ لأننا في الترف والمجون مدمنون سادرون، وفي ظلام الحياة تائهون ضائعون، وأمام أعدائنا مشتتون متفرقون، يقول:

القــدسُ فــي خطــر، ويــحي! طــولُ الشــكاةِ وطــولُ العتــبِ
ويُفزِعُنــي فالنــاسُ بــينَ مغــاني والصّــخَبُ أهواؤُهــم وأمــاني
اللهوِ تصرَعُهم والقومُ في غفوةٍ العجــزِ و الرغَــبُ يلفّــهُم فــي
في التيه في ظُـلَمٍ تـمزَّقـوا فِـرَقا ديــاجيرِ الهــوى حُجُــبُ مــرُّ
شتـّى يـدورُ بــهِم مـالــي ألــومُ الــصّراعِ وهولُ الشّرِ والحَرَبُ
عــدوّي كـلّمــا نزَلــت نحــن بنـا الهـزائمُ أو حلّت بنا النـّوَبُ
الـملومـون، عـهدُ اللهِ نـحـمـلُه وقــد تَخَلــّفَ منــا العــزمُ والسبب

[2] نحن، العرب والمسلمين، الملومون؛ لأن عدونا يكيد لنا ويحيك المؤامرات علينا، ولا سلاح نحمله إلا الشعارات الكاذبة، والإكثار من الشكوى للهيئات الدولية الضعيفة الظالمة، والحري بنا أن نتسلح بكتاب الله ونحرص على الجهاد لتحرير القدس والمسجد الأقصى، يقول:

القدسُ في خطرٍ! الآن، واعجبا أينَ السّنونَ التي مرّت بها
مُسَلسلٌ، كم نزَلنا فيه مُنحَدرا الكُرَبُ يَهوي بنا هانَ فيه
دوَّت شِعاراتُنــــا بُحّــــت العــزمُ والطلَــبُ جُنّــت
حناجرُنا ضجَّت شكايتُنا في عواطِفُنا تَعلو وتلتَهِبُ معَ
كــلِّ مُــعتَركٍ لقد ركنّا لكيدِ الهزيمةِ تُطوى ثمّ تَحتَجِبُ
الظالمين ولم لم نشكُ للهِ لم نــزل علــى كيــدِهم نشــقى
نلجأ لرَحمتِه ونَنقَلِبُ فما استقامَ على نهجِ الهُدى أَرَبُ

[3] نحن، العرب والمسلمين، الملومون؛ لأننا لم ندافع عن القدسية الإسلامية للقدس، فهي في قدسيتها تضاهي قدسية البيت الحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة، يقول:

القــدسُ فــي خطــرٍ! مــا زالَ حقــا ويُفزِعُنــي مــن أمرِنــا
يُــذهِلُني القــدسُ يــا أمتــي عَجَبُ وبالحبالِ التي يزكو
موصـولةٌ بعُرى بالبيتِ بالكعبةِ بها النسَبُ شُـدّت بها بغَنيّ

الغـرّاء عُـروتُها وبالـمدينةِ النورِ تـأتَشِـبُ عَهدا مـعَ اللهِ
حبلٌ غـيُر مُنفَصِمٍ عهـدا إلـى حقـا لـيسَ يَنقَضِـبُ أمـانةَ
أمـةِ الإسـلامِ ما صدقت العهدِ والحـقّ الـذي يجب

وللقـدس مكانـة دينيـة وحضـارية عبـر العصـور التاريخيـة، ولـدى الـديانات السماوية، فهي زهرة عميقة الجذور في أرض فلسطين، تهدي شذاها لكل شـهيد على ثراها، وتخبئ مجامر عطورها لزحوف القادمين لتحريرها، يقول:

القدسُ يـا قـومُ تـاريخٌ تجودُ أرضُ الرسـالاتِ مـا أزكـى
بـه القـدسُ زهـرةُ تـاريـخٍ الـذي تهَـبُ جـذورُها فـي
مـعطـرةٌ وإن تُـرى قطّعَـت بطونِ الأرضِ تَحتَجِبُ تظلُّ
تلك الجـذوُرُ فهل تقول: كـلا، تعبقُ فـي ساحاتها الكُثُبُ
فقد خبّأتُ كلَ شذى خبـأتُ عنـدي لكـلِّ شـهيدٍ كنـتُ
كلَّ عُطـوري فـي مـجامِرِها أرتقبُ نـديّة لزحـوفٍ لـيسَ تـنقلبُ

[4] نحن، العرب والمسلمين، الملومون على الخطر الذي تكابده القدس، وهذا الخطر لا محالة قادم نحو البلاد العربية والإسلامية، ولا دافع لـه إلا الجهـاد، يقول:

يا قومُ كلُّ روابينا على خَطَرٍ وقـد تكسّـرت الأسـيافُ
الـمجرمون طغـاةُ الأرضِ قـد والقضُـبُ زحفـا يمـوجُ بـه
زحفوا قومـوا إلـى ساحِـها يـا جيشٌ لهم لَجِبُ لله فـي جولـة
قومُ وانتصروا يُجلى الدمُ السّرِبُ

الخاتمة:

عدنان النحوي من شعراء الاتجاه الإسلامي في العصر الحديث، ولا شك أن هذا الاتجاه ظاهرة أدبية وموضوعية في قصائده القدسية، وما دام موضوعها هو القدس والمسجد الأقصى، فإنها لا تعدم الاتجاه الوطني، بل يتلاحم فيها الاتجاهان الإسلامي والوطني تلاحما موضوعيا وعضويا، فهما سداة ولحمة نسيجها الفني.

مراجع الدراسة

[1] **د. عدنان النحوي**، ديوان الأرض المباركة، **الطبعة السادسة، دار النحوي للنشر والتوزيع، 1994.**

[2] **د. عدنان النحوي**، ديوان مهرجان القصيد، **الطبعة الأولى، دار النحوي للنشر والتوزيع، 1993م.**

[3] **د. عدنان النحوي**، ديوان عبر وعبرات، **الطبعة الأولى، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2000م.**

[4] **د. عدنان النحوي**، ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل، **الطبعة الأولى، دار النحوي للنشر والتوزيع، 2005م.**

[5] **د. عدنان النحوي**، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، **الطبعة الأولى، دار النحوي للنشر والتوزيع، 1987م.**

الوطن والنكبة

الشيخ الدكتور محمد سليم محمد علي

إمام وخطيب المسجد الأقصى المبارك ـ الأمين العام لهيئة العلماء والدعاة/فلسطين

تأتي ذكرى النكبة هذا العام والأمة العربية والمسلمة بكافة أطيافها حكاما وشعوبا وعلماء يغرقون في بحر من النكبات:

أولها:

نكبة المصيبة في دينها؛ حيث لا يحكّم الإسلام في واقعها على مستوى الملأ ثم على مستوى الدهماء والعامّة،

وثانيها:

نكبة غربتها وركضها وراء الغرب بحضارته الزائفة الضالة والمضللة والتي تحمل في ثناياها بذور اندحارها لولا أن عامة المسلمين احتضنوها ورعوها جهلا واغترارا بها.

وثالث هذه النكبات:

ما يجري في بعض الدول العربية من اقتتال بين الحكومات والشعوب، وبغض النظر عن أسباب هذه الاقتتال إلا أن هذه الشعوب لو كانت تعقل لما وقعت في شركه، وآخر هذه النكبات الحالية ما يسمى بصفقة القرن التي تحاول إنهاء القضية الفلسطينية، وإخراج خارطة فلسطين عن وجه الكرة الأرضية، وحذف الشعب الفلسطيني من قائمة الشعوب، وإنها لأخطر مرحلة تمر بها الأمة العربية والإسلامية عبر تاريخها الطويل منذ أن فارق النبي ﷺ الدنيا.

وترجع إلينا ذكرى النكبة الفلسطينية، والتي هي نكبة تختلف عن كل النكبات، فهي نكبة الإنسان الفلسطيني الذي كان ولا يزال يهجّر من أرضه، ويطرد من وطنه، ويقتل حيثما كان وحلّ، وهي نكبة الأرض الفلسطينية التي سلبت وبنيت فوقها المغتصبات، وهي نكبة الأمّة المسلمة التي فقدت أرضا مقدسة مباركة،إنها نكبة اللجوء والشتات، ونكبة فقد الهوية والذات، لأمّة كانت ولا زالت خير أمّة أخرجت للناس، هذه النكبة التي صنعتها دول غربية، ثمّ أجمعت الأمم بعدها على تكريسها، وزاد في تكريسها تأخر العرب والمسلمين عن الاستجابة لاستغاثات المسلمين في فلسطين، ولم يأتمروا بقول الله ـ تعالى ـ:

*** وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ *[1].**

ولم يرجعوا إلى دينهم ليأخذوا منه توجيهاته لحلّ مشاكلهم وقضاياهم المصيرية فكان ما كان، فلله درّك يا شعب فلسطين، ذقت ظلم الأعداء، ونكول وتقاعس الأقرباء، وصدق الله ربنا في أبناء الجلدة والدين إذ يقول:

*** رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ *[1].**

---

1 سورة الأنفال، الآية 72.

وإنّ إخراج الناس من أوطانهم يُضاهي قتلهم وسفك دمائهم فقد جعل الله ـ سبحانه ـ الإخراج من الوطن كالقتل، فقال:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾[2].

فبقاء الإنسان في وطنه يعدل الحياة عنده، وعندما أُخرج المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ من وطنهم وأرضهم مكّة، أنزل الله آيات يواسيهم فيها، فقال ـ عزّ وجلّ ـ:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[3].

وشعبنا الفلسطيني اجتمع عليه التهجير والقتل والأسر، وهي أبشع الجرائم الإنسانية، وأقبح أنواع الظلم، وحقنا أن تنهي معاناتنا كما صنعتها، وأن ترد لنا حقوقنا وحريتنا، وعلى رأس هذه الحقوق عودة اللاجئين إلى القرى والمدن التي أخرجوا منها فالعودة حق أقرته الشرائع السماوية والمواثيق الدولية والفلسطينيون لا يقبلون بالتوطين، ولا يقبلون التعويض.

وأما العرب والمسلمون فحقنا عليهم أن ينصرونا نصرا حقيقيا، لا شجب فيه ولا استنكار، ولا زيتا فاسدا لا يضيء سراجا ولا يذهب عتمة ظلام، لا نريد زيتا من صنع الكافرين، بل نريد زيتا مغموسا بآيات الله، وسنّة رسوله ﷺ نريد زيتا يقطر بقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

---

1 سورة التوبة، الآية 87.
2 سورة النساء، الآية 66.
3 سورة الحشر، الآية 8.

ولقد عاشت القدس و المسجد الأقصى في ظل الاحتلال الصليبي ما يقارب التسعين عاما، كان عمل الحكام وقتئذ كما روى العليمي في كتابه الأنس الجليل أن أمروا العلماء أن يحثوا الناس في خطبهم ودروسهم على إخراج المسجد الأقصى من ظلم الصليبين، وكان لهم ما أرادوا حين صدقوا الله فصدقهم، فمن لتهويد القدس وهدم المنازل فيها والاستيلاء عليها؟ ومن للمرابطين فيها؟ ومن للمسجد الأقصى الذي يتعرض لخطر الهدم أو التقسيم؟.

إن الخذلان والخزي والعار سيكون مصير كل مسلم يخذل المسلمين وهو قادر على نصرتهم. وفي ذكرى النكبة، نؤكد على حقنا في العودة إلى قرانا ومدننا التي أخرجنا منها بغير حق فإنه لا يرتضي إنسان أن يخرج من أرضه ووطنه إلا ظلما وعدوانا، ونحن نحب قدسنا وأقصانا وأرضنا، لأنها مباركة مقدسة ولأنها أرض الإسلام والمسلمين، لنا فيها حضارة ربانية، وتاريخ مجيد، وفي وطننا نعظم الله ربنا بالثبات والصمود والرباط، وبأداء الفرائض والواجبات، ومحاربة المعاصي والفواحش والمنكرات، وهذا يدعونا إلى أن نحسن رباطنا بإحلال الوئام مكان النزاع والخصام، وبرص الصفوف، وتظافر الجهود والتعاون على البر والتقوى، وإن الوطن ليس أرضا فحسب، بل هو أيضا قيم ومعتقدات وثوابت وولاء، وعلى هذا فقضية فلسطين هي قضية كل مسلم، وقد خاب وخسر وجهل من خصها بالمسلمين في فلسطين وحدهم.

ونحن إذ نعيش ذكرى النكبة لا بد من تصحيح هذا التصور القاصر، وعلى كل مسلم أن يتحمل نصيبه من همّها ونصرتها، وولاء المسلم دائما وأبدا لله وللرسول ولجماعة المسلمين، فهو يحب وطنه وينصره لإعزاز الدين، وهو في ذات الوقت لا يوالي كافرا ولا منافقا وإن كان من وطنه وأبناء جلدته، وقد حذّر الله المسلمين من تقديم حب الوطن والعشيرة على حب الدين والانتماء إليه، فقال ـ سبحانه ـ:

---

1 **سورة الأنفال، الآية 74.**

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1].

وإنّ النكبة الحقيقية هي النكبة في الدين، فيوم تخلينا عن ديننا سلبت منا أوطاننا، وطردنا من بلادنا، وصرنا في ذيل قافلة الأمم، ولا زال من المسلمين من يفعل المنكرات،ويتبع الشهوات ويشتري الدنيا، ويبيع الآخرة، وليس هذا عهد الله بكم وأنتم عباده، فتمسكوا بدينكم لترجعوا أوطانكم، ولتأمنوا في دياركم، ولتقودوا الأمم من جديد نحو العدل والأمن والسلام، واقتدوا برسولكم ﷺ الذي تمسك بالدين وعمل له، فأعزه الله بإرجاعه إلى مكّة المكرّمة فاتحا ومنتصرا. وإننا إذا فهمنا واقعنا هذا وواجبنا هذا فصفقة القرن ستذوب كما يذوب الملح في الماء.

والحمد لله رب العالمين

تطبيقات على إشارة النص من سورة البقرة

الأستاذ وليد قاروط
مدرس التجويد في كلية القرآن والدراسات الإسلامية - جامعة القدس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فَإِنَّ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ مَبْحَثًا عَظِيمًا، لَا يَكْتَمِلُ بِدُونِهِ، أَلَا وَهُوَ مَبْحَثُ الدَّلَالَاتِ، وَفِي ثَنَايَا هَذَا الْمَبْحَثِ يُوجَدُ أَحَدُ طُرُقِ دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ عَلَى الْمَعَانِي،

1 سورة التوبة، الآية 24.

يُسَمَّى بِإِشَارَةِ النَّصِّ.

أولا: التعريف بإشارة النصّ

هِيَ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى مَعْنًى يُفهَمُ مِنَ اللَّفْظِ نَفْسِهِ، وَلَكِنَّ الْكَلَامَ لَيْسَ مَسُوقًا لِأَجْلِهِ، وَلَيْسَ هُوَ مَقْصُودَ الْمُتَكَلِّمِ، وَيُعْلَمُ بِالتَّأَمُّلِ أَنَّ اللَّفْظَ مُتَنَاوِلٌ لِهَذَا الْمَعْنَى[1].

فَمَثَلًا: يَقُولُ اللهُ ـ عز وجل ـ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[2].

وَيَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾[3].

وَبِمَجْمُوعِ الْآيَتَيْنِ يُسْتَدَلُّ أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةٍ لِلْحَمْلِ هِيَ سِتَّةُ أَشْهُرٍ؛ لِأَنَّ آيَةَ الْأَحْقَافِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَمْلَ مَعَ الْفِصَالِ مُدَّتُهُمَا: ثَلَاثُونَ شَهْرًا، وَآيَةَ لُقْمَانَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفِصَالَ مُدَّتُهُ: أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ شَهْرًا، إِذَنْ بِمَجْمُوعِ الْآيَتَيْنِ تَكُونُ أَقَلُّ مُدَّةٍ لِلْحَمْلِ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ[4]. وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ[5].

فَهَذِهِ النَّتِيجَةُ فُهِمَتْ مِنَ اللَّفْظِ نَفْسِهِ، وَهُوَ لَفْظُ الْآيَتَيْنِ، إِلَّا أَنَّ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى فِي الْآيَتَيْنِ لَيْسَ مَسُوقًا لِأَجْلِ هَذِهِ النَّتِيجَةِ، وَعُلِمَتْ هَذِهِ النَّتِيجَةُ بَعْدَ التَّأَمُّلِ، لَا مُبَاشَرَةً بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَى الْآيَتَيْنِ. وَإِشَارَةُ النَّصِّ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الْبَلَاغَةِ[6]، وَوُجُودُهَا بِكَثْرَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، دَلِيلٌ عَلَى بَلَاغَتِهِ وَإِعْجَازِهِ.

---

1 السرخسي، أصول السرخسي، 236/1. وعبد العزيز البخاري، كشف الأسرار، 68/1. والآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، 64/3. والغزالي، المستصفى، 193/2. والشوكاني، إرشاد الفحول، ص589.

2 سورة الأحقاف، الآية 15.

3 سورة لقمان، الآية 14.

4 الآمدي، الإحكام، 65/3. والغزالي، المستصفى، 194/2.

5 انظر: البيهقي، السنن الكبرى، كتاب العدد، باب ما جاء في أقل الحمل، حديث رقم 15549. وهو مروي عن علي وعمر وعثمان وابن عباس. وصححه ابن عبد البر. انظر: ابن عبد البر، الاستذكار، 492/7.

6 السرخسي، أصول السرخسي، 236/1.

ثانيا: تطْبيقات على إشارة النصّ من سورة الْبقرة

[1] الصَّلاة إلى جهة الْقبلة.

يَقولُ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[1].

إِشَارَةُ النَّصِّ مَأْخُوذَةٌ مِنْ لَفْظِ (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى مَأْخُوذٍ مِنْهُ، وَهُوَ جَوَازُ صَلَاةِ الْبَعِيدِ الَّذِي لَا يُعَايِنُ الْكَعْبَةَ عِنْدَ اسْتِقْبَالِ جِهَةِ الْقِبْلَةِ وَإِنْ لَمْ يُصِبْ عَيْنَهَا، وَهَذِهِ الْإِشَارَةُ لَيْسَ الْكَلَامُ مَسُوقًا لِأَجْلِهَا؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مَسُوقٌ فِي الْأَمْرِ بِاسْتِقْبَالِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَطْ، وَالْوُصُولُ إِلَى تِلْكَ النَّتِيجَةِ يَحْتَاجُ إِلَى تَأَمُّلٍ وَإِعْمَالِ فِكْرٍ.

يَقُولُ الْآلُوسِيُّ: "وَفِي ذِكْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي هُوَ مُحِيطٌ بِالْكَعْبَةِ دُونَ الْكَعْبَةِ ـ مَعَ أَنَّهَا الْقِبْلَةُ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ ـ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَكْفِي لِلْبَعِيدِ مُحَاذَاةُ جِهَةِ الْقِبْلَةِ وَإِنْ لَمْ يُصِبْ عَيْنَهَا"[2]. قَدِ اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى وُجُوبِ اسْتِقْبَالِ عَيْنِ القِبْلَةِ لِلْقَرِيبِ الَّذِي يُعَايِنُ عَيْنَ الْقِبْلَةِ[3]، وَلَكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ اسْتِقْبَالِ الْعَيْنِ لِلْبَعِيدِ الَّذِي لَا يُشَاهِدُ الْكَعْبَةَ، فَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ[4]، وَالْمَالِكِيَّةُ فِي الصَّحِيحِ[5]، وَالْحَنَابِلَةُ[6]، إِلَى جَوَازِ اسْتِقْبَالِ الْجِهَةِ لِلْبَعِيدِ وِإِجْزَائِهِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (ما بين الْمشرق والْمغْرب قبلة)[7]، وَبِإِشَارَةِ النَّصِّ السَّابِقَةِ.

---

1 سورة البقرة، الآية 144.
2 الآلوسي، روح المعاني،21/3.
3 ابن حزم، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، ص26. وابن القطان، الإقناع، 123/1.
4 ابن عابدين، رد المحتار، 429/1.
5 عليش، منح الجليل شرح مختصر خليل، 233/1. وابن رشد الحفيد، بداية المجتهد، 119/1.
6 البهوتي، دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، 170/1.
7 ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القبلة، حديث رقم 1011. والترمذي، سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، حديث رقم 342. والنسائي، السنن الكبرى، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد

وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ فِي قَوْلٍ[1]، وَالشَّافِعِيَّةُ[2]، إِلَى وُجُوبِ اسْتِقْبَالِ الْعَيْنِ لِلْبَعِيدِ أَيْضًا، وَعَدَمِ إِجْزَاءِ الْجِهَةِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَخَلَ الْكَعْبَةَ خَرَجَ فَصَلَّى إِلَيْهَا وَقَالَ: (هذه الْقبلَة)[3].

فَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى وُجُوبِ اسْتِقْبَالِ عَيْنِ الْكَعْبَةِ.

وَلَعَلَّ الرَّاجِحَ أَنَّ الْبَعِيدَ الَّذِي لَا يُشَاهِدُ عَيْنَ الْقِبْلَةِ، تُجْزِئُهُ الصَّلَاةُ إِلَى جِهَتِهَا؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي اسْتَدَلَّ بِهِ الشَّافِعِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ عِبَارَتُهُ تَحْتَمِلُ قَصْدَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَحَدِيثَ الْجُمْهُورِ عِبَارَتُهُ تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ صَلَاةِ الْبَعِيدِ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ، فَيُحْمَلُ حَدِيثُ الشَّافِعِيَّةِ عَلَى الْقَرِيبِ. كَمَا أَنَّ إِشَارَةَ النَّصِّ تُؤَيِّدُ هَذَا الْكَلَامَ.

يَقُولُ ابْنُ رُشْدٍ الْحَفِيدُ مُرَجِّحًا هَذَا الْقَوْلَ: "وَالَّذِي أَقُولُهُ: إِنَّهُ لَوْ كَانَ وَاجِبًا قَصْدُ الْعَيْنِ لَكَانَ حَرَجًا... فَإِنَّ إِصَابَةَ الْعَيْنِ شَيْءٌ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِتَقْرِيبٍ وَتَسَامُحٍ بِطَرِيقِ الْهَنْدَسَةِ وَاسْتِعْمَالِ الْأَرْصَادِ فِي ذَلِكَ، فَكَيْفَ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ طُرُقِ الِاجْتِهَادِ، وَنَحْنُ لَمْ نُكَلَّفْ الِاجْتِهَادَ فِيهِ بِطَرِيقِ الْهَنْدَسَةِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْأَرْصَادِ الْمُسْتَنْبَطِ مِنْهَا طُولُ الْبِلَادِ وَعَرْضُهَا"[4].

[2] حجية خبر الْواحد في الأحْكام:

يَقُولُ اللهُ - عز وجل -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[5].

ابن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصيام، حديث رقم 2563. وصححه الألباني. انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، 978/2، د.ط، د.ت.ط، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان.

1 **عليش، منح الجليل، 233/1.**

2 **الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، 424/1.**

3 **البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول الله تعالى: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، حديث رقم 398. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، والصلاة فيها، والدعاء في نواحيها كلها، حديث رقم 1330.**

4 **ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد، 119/1.**

5 **سورة البقرة، الآية 159.**

يَقُولُ الْآلُوسِيُّ: "وَاسْتُدِلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ إِظْهَارِ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَحُرْمَةِ كِتْمَانِهِ... وَفِيهَا دَلِيلٌ أَيْضًا عَلَى وُجُوبِ قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْبَيَانُ إِلَّا وَقَدْ وَجَبَ قَبُولُ قَوْلِهِ"[1].

فَلَفْظُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ (وَهُوَ إِثْمُ مَنْ يَكْتُمُ الْبَيِّنَاتِ) يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى مَفْهُومٍ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ يُعْلَمُ بِالتَّأَمُّلِ، وَهُوَ وُجُوبُ قَبُولِ خَبَرِ الْآحَادِ؛ فَإِنَّ وُقُوعَ الْإِثْمِ عَلَى مَنْ يَكْتُمُ الْبَيِّنَاتِ يَسْتَلْزِمُ وُجُوبَ بَيَانِهِ لِلْحُكْمِ، وَوُجُوبُ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ وُجُوبَ قَبُولِ خَبَرِهِ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا. وَالْكَلَامُ هُنَا سَيَكُونُ فَقَطْ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ فِي الْأَحْكَامِ؛ لِئَلَّا يَطُولَ الْمَقَامُ.

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ فِي الْأَحْكَامِ، وَإِيجَابِ الْعَمَلِ بِهِ إِذَا ثَبَتَ، وَلَمْ يَنْسَخْهُ غَيْرُهُ مِنْ أَثَرٍ أَوْ إِجْمَاعٍ[2]، وَلَمْ يُخَالِفْ فِي هَذَا إِلَّا فِئَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ لَا يُعْتَدُّ بِخِلَافِهِمْ[3].

وَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تُؤَيِّدُ ذَلِكَ بِإِشَارَةِ النَّصِّ كَمَا سَبَقَ. وَإِنَّمَا اخْتِلَافُهُمْ فِي شُرُوطِ الْعَمَلِ بِهِ، وَلَيْسَ هَذَا مَكَانَ تَفْصِيلِ ذَلِكَ.

[3] عفْو بعض أولياء الدم عن الْقصاص:

يَقُولُ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلقِصَاصُ فِي ٱلقَتلَى ٱلحُرُّ بِٱلحُرِّ وَٱلعَبدُ بِٱلعَبدِ وَٱلأُنثَىٰ بِٱلأُنثَىٰ فَمَن عُفِيَ لَهُۥ مِن أَخِيهِ شَيءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلمَعرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيهِ بِإِحسَٰنٖ ذَٰلِكَ تَخفِيفٞ مِّن رَّبِّكُم وَرَحمَةٞ فَمَنِ ٱعتَدَىٰ بَعدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[4].

لَفْظُ (عُفِيَ شَيْءٌ) هُنَا دَلَّ عَلَى مَعْنًى مَفْهُومٍ مِنْهُ، وَهُوَ الْعَفْوُ عَنْ بَعْضِ الدَّمِ، وَلَكِنْ يُعْلَمُ بِالتَّأَمُّلِ أَنَّهُ إِذَا عَفَا بَعْضُ أَوْلِيَاءِ الدَّمِ عَنِ الْقِصَاصِ فَإِنَّهُ يَسْقُطُ؛ لِأَنَّ الدَّمَ لَا

---

1 الآلوسي، روح المعاني، 60/3.
2 النيسابوري، الأوسط في السنن والاجتماع والاختلاف، 304/11. وابن القطان، الإقناع، 68/1.
3 كالخوارج. انظر: ابن القطان، الإقناع، 68/1.
4 سورة البقرة، الآية 178.

يَتَجَزَّأُ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: عَفَوْتُ عَنْ بَعْضِكَ! وَهَذَا مِنْ إِشَارَةِ النَّصِّ[1]. وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّ أَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِ إِذَا عَفَوْا جَمِيعًا عَنِ الْقَاتِلِ، سَقَطَ الْقِصَاصُ[2]. وَلَكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِيمَا إِنْ عَفَا بَعْضُهُمْ دُونَ آخَرِينَ، فَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ[3]، وَالشَّافِعِيَّةُ[4]، وَالْحَنَابِلَةُ[5]، وَمَالِكٌ فِي الْمُعْتَمَدِ[6]، إِلَى أَنَّ عَفْوَ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ الدَّمِ يُسْقِطُ الْقِصَاصَ مُطْلَقًا. وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِعِدَّةِ أَدِلَّةٍ، مِنْهَا: إِشَارَةُ النَّصِّ السَّابِقَةُ[7]، وَمِنْهَا أَنَّ عُمَرَ ابنَ الخَطَّابِ رِضِيَ اللهُ عَنْهُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا، فَجَاءَ أَوْلَادُ الْمَقْتُولِ وَقَدْ عَفَا أَحَدُهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ لِابْنِ مَسْعُودٍ رِضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ: مَا تَقُولُ؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَقُولُ لَهُ: قَدْ أُحْرِزَ مِنَ الْقَتْلِ. فَضَرَبَ عُمَرُ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ: كُنَيِّفٌ[8] مُلِئَ عِلْمًا[9]. وَذَهَبَ ابْنُ حَزْمٍ[10]، وَمَالِكٌ فِي رِوَايَةٍ[11]، إِلَى أَنَّ عَفْوَ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ الدَّمِ لَا يُسْقِطُ الْقِصَاصَ؛ بَلْ يَجِبُ عَفْوُ الْجَمِيعِ لِإِسْقَاطِ الْقِصَاصِ. وَمِمَّا اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى ذَلِكَ: قَوْلُ اللهِ ـ عز وجل ـ:

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[12].

ووجْـهُ الدَّلالـة: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَصَرَّفُ فِي حَقِّهِ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهِ، وَهَكَذَا فِي الْقِصَاصِ، فَإِنَّ عَفْوَهُ لَا يُلْزِمُ غَيْرَهُ[1]. وَكَمَا أَنَّ الْجَمَاعَةَ تُقْتَلُ بِالْوَاحِدِ، فَكَذَلِكَ لَا يَسْقُطُ

1 الآلوسي، روح المعاني، 108/3.
2 الكاساني، بدائع الصنائع، 246/7. وابن شاس، عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، 251/3. والشربيني، مغني المحتاج، 148/4. والبهوتي، دقائق أولي النهى، 267/3.
3 السرخسي، المبسوط، 158/26.
4 الشيرازي، المهذب، 198/3.
5 البهوتي، كشاف القناع، 534/5.
6 الباجي، المنتقى شرح الموطأ، 125/7.
7 ابن قدامة، المغني، 287/8.
8 تصغيرُ كِنْفٍ، وهو وعاء أداة الراعي، والتصغير للتعظيم. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 205/4،204.
9 الطبراني، المعجم الكبير، 349/9، حديث رقم 9735. والصنعاني، مصنف عبد الرزاق الصنعاني، 13/10. وصحَّح الألبانيُّ ما في معناه. انظر: الألباني، إرواء الغليل، 280/7.
10 ابن حزم، المحلى بالآثار، 127/11.
11 لم أجدها، ونسبها لهم ابن قدامة. انظر: ابن قدامة، المغني، 353/8.
12 سورة الأنعام، الآية 164.

حَقُّ الْجَمَاعَةِ بِالْوَاحِدِ[2]. وَلَعَلَّ الرَّاجِحَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ؛ لِدَلَالَةِ الْإِشَارَةِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الدَّمَ لَا يَتَجَزَّأُ؛ فَوَجَبَ الْمَصِيرُ إِلَى إِسْقَاطِ الْقِصَاصِ بِعَفْوِ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ. وَلِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ السَّابِقِ.

[4] الْقصاص من الصّبْيان:

يَقُولُ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

لَا خِلَافَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّهُ لَا قِصَاصَ عَلَى الصَّبِيِّ قَبْلَ الْبُلُوغِ، فَلَا يُقْتَلُ إِنْ قَتَلَ[4]؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ صَحِيحٌ، فَهُوَ كَالْقَاتِلِ خَطَأً[5]. وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: (رُفع القلم عنْ ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصّغير حتى يحتلم، وعن الْمجنون حتى يعقل)[6].

وَهَذَا الدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ صَرِيحٌ، وَقَدْ يُسْتَنْبَطُ هَذَا الْحُكْمُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِإِشَارَةِ النَّصِّ، مِنْ لَفْظِ (يا أُولِي الألْباب)**؛ لِأَنَّ اللهَ ـ عز وجل ـ خَاطَبَ أُولِي الْأَلْبَابِ فِي الْكَلَامِ عَنِ القصَاصِ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الحُكْمَ مَخْصُوصٌ بِالْبَالِغِينَ دُونَ الصِّبْيَانِ، وَهَذَا يُعْلَمُ بِالتَّأَمُّلِ[7].**

---

1 **ابن حزم، المحلى، 127/11.**
2 **ابن قدامة، المغني، 353/8.**
3 **سورة البقرة، الآية 179.**
4 **وعليه الدية المخففة على العاقلة. انظر: ابن قدامة، المغني، 284/8.**
5 **ابن مودود، الاختيار، 28/5. والحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 232/6. والنووي، روضة الطالبين، 149/9. وابن قدامة، الشرح الكبير على متن المقنع، 79/25.**
6 **أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الحدود، باب في الصغير يسرق أو يصيب أحدًا، حديث رقم 4403. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، حديث رقم 2041. والترمذي، سنن الترمذي، أبواب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، حديث رقم 1423. والنسائي، السنن الكبرى، كتاب الرجم، باب المجنونة تصيب الحد، حديث رقم 7303. وصححه الألباني. انظر: الألباني، صحيح الجامع، 659/1.**
7 **الآلوسي، روح المعاني، 112/3.**

[5] صوم الْجنب:

يَقولُ اللهُ ـ جل في علاه ـ فِي آيَةِ الصِّيَامِ: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾[1].

يَقُولُ الْآلُوسِيُّ: "وَاسْتُدِلَّ بِالْآيَةِ عَلَى صِحَّةِ صَوْمِ الْجُنُبِ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إبَاحَةِ الْمُبَاشَرَةِ إلَى تَبْيِينِ الْفَجْرِ، إبَاحَتُهَا فِي آخِرِ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ اللَّيْلِ مُتَّصِلٍ بِالصُّبْحِ، فَإِذَا وَقَعَتْ كَذَلِكَ أَصْبَحَ الشَّخْصُ جُنُبًا، فَإِنْ لَمْ يَصِحَّ صَوْمُهُ لَمَا جَازَتِ الْمُبَاشَرَةُ؛ لِأَنَّ الْجَنَابَةَ لَازِمَةٌ لَهَا، وَمُنَافِي اللَّازِمِ مُنَافٍ لِلْمَلْزُومِ"[2].

هَذَا الْمِثَالُ ذَكَرَهُ أَكْثَرُ الْأُصُولِيِّينَ لِإِشَارَةِ النَّصِّ[3]، وَتَفْصِيلُ الْآلُوسِيِّ فِي وَجْهِ اعْتِبَارِهَا مِنْ إشَارَةِ النَّصِّ كَافٍ، وَقَوْلُهُ: مُنَافِي اللَّازِمِ مُنَافٍ لِلْمَلْزُومِ، مَعْنَاهُ: أَنَّ الْقَوْلَ بِنَفْيِ صِحَّةِ صَوْمِ الْجُنُبِ، يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ جَوَازِ الْجِمَاعِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَهُوَ بَاطِلٌ بِالْآيَةِ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ صَوْمِ الجُنُبِ.

وَقَدْ ذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ[4]، وَالْمَالِكِيَّةُ[5]، وَالشَّافِعِيَّةُ[6]، وَالْحَنَابِلَةُ[7]، إلَى صِحَّةِ صَوْمِ الْجُنُبِ. وَمِمَّا اسْتَدَلُّوا بِهِ: إشَارَةُ النَّصِّ السَّابِقَةُ، وَبِأَنَّ رَجُلًا اسْتَفْتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تُدْرِكُنِي الصَّلَاةُ وَأَنَا جُنُبٌ، أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وأنا تدركني الصّلاة وأنا جنب فأصوم) **فَقَالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ**

---

1 سورة البقرة، الآية 187.
2 الآلوسي، روح المعاني، 145/3.
3 انظر مثلًا: السرخسي، أصول السرخسي، 236/1. وعبد العزيز البخاري، كشف الأسرار، 213/2. والآمدي، الإحكام، 65/3. والغزالي، المستصفى، 194/2. والشاطبي، الموافقات، 154/2.
4 الكاساني، بدائع الصنائع، 38/1.
5 المواق، التاج والإكليل، 375/3.
6 المزني، مختصر المزني، 152/8.
7 ابن قدامة، الكافي، 438/1.

ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ ﷺ: (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي)[1].

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَالْحَسَنِ بنِ صَالِحٍ، أَنَّ صَوْمَهُ لَا يَصِحُّ[2]. وَدَلِيلُهُمْ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: "مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلَا يَصُمْ"[3].

وَقَدْ أَطَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْكَلَامَ فِي التَّوْفِيقِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ، وَاخْتِصَارُ ذَلِكَ: أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى نَسْخِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ كَلَامَهُ يُحمَلُ عَلَى الْأَفْضَلِ وَالْأَوْلَى، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ وَهُوَ مُجَامِعٌ فَاسْتَدَامَ مَعَ عِلْمِهِ بِالْفَجْرِ[4].

وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْإِجْمَاعَ اسْتَقَرَّ عَلَى صِحَّةِ صَوْمِ الْجُنُبِ[5].

الْمُهِمُّ هُنَا: أَنَّ صِحَّةَ صَوْمِ الْجُنُبِ كَمَا أَنَّ فِيهِ نَصًّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ أَيْضًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِإِشَارَةِ النَّصِّ.

أربطة القدس
بين الماضي والحاضر

د: ناجح بكيرات

1 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث رقم 1110.
2 الماوردي، الحاوي الكبير، 414/3.
3 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصائم يصبح جنبًا، حديث رقم 1926. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث رقم 1109، واللفظ له.
4 النووي، المجموع شرح المهذب، 308/6. والشوكاني، نيل الأوطار، 253/4.
5 انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 222/7.

رباط بيرام جاويش

1- الموقع: يقع هذا الرباط في الطريق الجنوبي لعقبة التكية، عند ملتقى طريق الواد بطريق المجلس وعقبة التكية[1].

2- التسمية: سمي هذا الرباط نسبة لاسم منشئه بايرام جاويش ابن مصطفى.

3- المنشئ: هو بيرام جاويش بن زين الدين مصطفى جاويش عام 965هـ/ 1562م، وكان محافظاً للقدس في زمن سليمان القانوني، واشرف بيرم أيضا على بناء سور القدس، وكان من كبار قادة الجيش العثماني، حيث كان سباهيا وتيماريا وهذا المصطلح يطلق على كبار الملاكين، وكانت له مصبنة في حارة باب العامود، وانتفع بكامل سوق العطارين بعقد إيجار واستئجار، أي انه استأجره ثم أعاد تأجيره لعامّة الناس وله ذرية وأوقاف وما زال ضريحه ظاهراً وسط مكتبة الصدقات التي هي جزء من رباطه[2].

4- تاريخ الإنشاء: أنشئ في عام 947هـ/1540م زمن السلطان سليمان القانوني.

5- وصف البناء: يتكون هذا الأثر من طابقين من البناء، ويتم الوصول إليهما عبر مدخل شمالي، جميل الشكل، ويعلو بارتفاع طابقي البناء وهو مزخرف بالأحجار الملونة صنج معشقه وعتب ومقرنصات، ومحارة حجرية مركزية تنبثق من وسطها عدة إشعاعات مضلعة، توحي وكأنها الشمس عند شروقها وهو من إبداع المداخل التركية.

ويؤدي المدخل إلى دركاة (ممر) تفتح على الصحن المكشوف في الطابق الأول من الجهة الشرقية، ينعطف غربا للوصول إلى مختلف أجزاء الطابق الثاني وملحقاته ويضم الطابق الثاني عددا من الساحات المكشوفة وأكبرها الساحة

1 العسلي، معاهد العلم، ص317.
2 أشقر، الوقف ومعاملاته، ص53.

المركزية، كما يضم مسجدا جميل الشكل والتكوين، وغرفا وقاعات عديدة ويتداخل مبنى الأثر بمبنى تكية خاصكي سلطان، مما يصعب تحديد أجزائه[1].

وفي القسم الثاني من الرباط يقع مكتب (أي كتاب) مجاني لتعليم الأولاد وفيه ضريح بيرم. وهناك نقش تاريخي على مدخله نصه: "هذا المكان المبارك وقفه لسكن الفقيد الأمير بيرام جاويش ين مصطفى دام عزه بتاريخ عشرين ربيع الأول سنة سبع وأربعين وتسع ماية".

كما ويوجد رقم تاريخي آخر منقوش يدل على تأسيس هذا المكتب نصه: (جدد عمارة هذا المكان المبارك جاويش وجعله مكتبا لقراءة الأولاد لله ـ تعالى ـ في سنة 947هـ/1540م).

6- وظيفة الرباط: كان الهدف من إنشائه هو وقفه ليكون مكاناً للأيتام وتعليمهم وقد أصبح الرباط يعرف فيما بعد باسم المدرسة الرصاصية واعتقد أن هذه التسمية جاءت من استعمال ألواح الرصاص في ربط مداميك الحجارة بعضها ببعض، وهذا يدلك على أن الرباط قد اهتم بتعليم الأيتام والفقراء وغيرهم وازداد عدد الطلاب والمدرسين في الرباط واسهم بدور فكري فعال، حتى اليوم.

7- أوقاف الرباط: هناك أوقاف عديدة وكثيرة كانت موقوفة على الرباط منها ما جاء في السجل الشرعي رقم (522 ص15) "وقف بيرم جاويش على مصالح الرباط والمكتب الكائن ذلك بالقدس الشريف الذي أنشأه الواقف وعمره من ماله، قرية بني نعيم بني شجاع؟ تابع القدس 6ط مصبنة في حارة باب العمود بالقدس الشريف 12ط، الحوش بالمحلة الزبورة بالقرب من المصبنة المزبورة 6ط

---

1 أشقر، الوقف ومعاملاته.

في رابع شهر رمضان سنة ثلاث وخمسون وتسعماية"[1]. وهناك وقفيات متعددة لإطعام الطلاب وتعليمهم باللغة التركية والعربية.

8- الوضع الحالي: قبل الحديث عن وضعه الحالي أشير إلى أن الرباط مرّ في تعميرات مختلفة في أوقات مختلفة.

وأصدرت قرارات بتعمير الرباط، مما جعله حتى الآن متماساً وهو يستعمل اليوم كمدرسة لدار الأيتام ومسجد والقسم الشمالي الذي يطل على شارع الواد يستخدم كمكتبة للصدقات وفي جزئها الغربي هناك مدفن وفوق المدفن سكن لبعض العائلات المقدسية وهذا الجزء بحاجة إلى ترميم واهتمام أكثر من قبل دائرة الأوقاف.

رباط الكرد

1- الموقع: يقع هذا الرباط عند باب الحديد على يسار الداخل في المسجد الأقصى المبارك وحائطه الشرقي هو حائط المسجد الأقصى المبارك من الخارج إذ يعتبر ملاصقاً تماما للمسجد الأقصى.

2- التسمية: سمي على هذا الرباط على اسم مؤسسه المقر السيفي كرد وليس كرت كما ذكره بورجين.

3- المنشئ: المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية في سنة 696هـ عين أميراً وتولى في عهد قلاوون نيابة طرابلس وقتل في معركة مع التتار سنة 699هـ.

4- تاريخ الإنشاء: أنشئ في عام 693 هـ/1293م في عهد السلطان قلاوون.

---

1 أشقر، الوقف ومعاملاته، ص53.

5- وصف البناء: في واجهة البناء من الخارج مدخل صغير تقوم على جانبيه مكسلتان حجريتان، ويؤدي إلى ممر ضيق غطي جزء منه ثم يتسع هذا الممر قليلا ويؤدي إلى عدة أماكن مكشوفة توصل إلى مجموعة من الخلاوي والغرف. وهو مؤلف من طابقين. الطابق الأول هو الأصل، والثاني يشترك مع المدرسة الجوهرية، وأما الطابق الثالث فقد بني في الفترة العثمانية وفي الرباط عدة غرف منها الكبير والصغير ويتوصل إلى هذه الغرف من خلال ممرات وأدراج وساحات مكشوفة وأخرى مسقوفة[1].

6- وظيفة الرباط ودوره: لرباط الكرد دور نشط في الحركة الفكرية في بيت المقدس، كما أن له دوراً هاماً في استقبال الزوار والوافدين للمرابطة على أبواب المسجد الأقصى المبارك وعمارته، وساعد الرباط في سد الفراغ الاجتماعي والسكن في المدينة.

7- أوقاف الرباط: تشير بعض الحجج الوقفية والشرعية ووثائق مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية إلى رعايته وتعميره، وتخصيص ريع أوقافه في القدس إلى إيواء الفقراء والحجاج الوافدين إلى المدينة، كما وتشير إلى أن معظم الوظائف فيه كانت لعائلة ابن الدويك قبل أن يتحول إلى دار سكن يقطنها جماعة من آل الشهابي[2].

8- الوضع الحالي للرباط: تعرض الرباط في عام 1971م إلى انهيار جزء من مبانيه نتيجة الحفريات الإسرائيلية التي جرت وعلى وجه الخصوص الحفريات التي امتدت على طول الحائط الغربي بحجة النفق الذي تم افتتاحه من قبل حكومة الاحتلال في عام 1996م. وتهدف دولة الاحتلال إلى إزالة هذا الرباط على وجه الخصوص، ولولا الضجة العالمية التي حدثت في حينه، ووقفه المقدسيين في الدفاع عن هذا الرباط لتمت إزالته عن الوجود، كما فعل في حارة المغاربة، إذ أن الاحتلال كان يخطط لجعل هذا المكان مصلى لليهود وهو الأقرب إلى قبة الصخرة، وهو الذي يقع في مكان استراتيجي مرتفع، لذلك عمد الاحتلال إلى تزوير تاريخ الرباط وأطلقوا على المكان (الكوتل الصغير) زوراً وبهتناً وحين يتم الاعتراض على

1 العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص75.
2 عبد الغني، القدس الشريف في العهد العثماني، ص307، ص308.

ما تقوم به دولة الاحتلال، وعلى اليهود الذين يقصدون هذا المكان للصلاة فيه تقوم الشرطة باعتقال وسجن كل من يعترض.

إن رباط الكرد يتعرض لمؤامرة خبيثة جداً تهدف في النهاية إلى تحويله لمكان مقدس يهودي، كما وتهدف إلى ترحيل السكان وتهجيرهم من هذا الرباط، والذي يسكنه اليوم أكثر من تسع عائلات معظمهم من آل الشهابي، وفي نفس الوقت فان مباني الرباط وغرفه وساحاته بحاجة إلى ترميم سريع قبل فوات الأوان[1].

الرباط الحموي

1- الموقع: يقع على يسار الداخل إلى باب القطانين على بعد 30 مترا من الباب.

2- التسمية: ينسب هذا الرباط إلى مؤسسة شمس الدين الحموي.

3- المنشئ: هو شمس الدين محمد الحموي وكان ناظراً للحرمين الشريفين في عهد الملك الظاهر جقمق.

4- تاريخ الإنشاء: بني في منتصف القرن التاسع الهجري ولم تورد المصادر والسجلات تاريخ الإنشاء بالضبط.

5- وصف البناء: البناء مكون من طابقين، الطابق الأول فيه مدخل صغير وبسيط ويفضي إلى ثلاثة غرف صغيرة، والطابق الثاني يتوصل إليه عبر سلم حجري إلى مجموعة غرف صغيرة أيضا وكلها معقودة على الطراز المملوكي القديم ولا توجد نقوش او زخرفة واضحة في البناء[2].

6- وظيفة الرباط ودوره: وظيفته إيواء بعض الناس المحتاجين، وكان له دور فكري ثقافي تربوي، ويكفي أن تدرك بأن الفترة الزمينة لنظارة الحموي

---

1 مجموعة باحثين، كنوز القدس، ص17.
2 العسلي، معالي العالم، ص325.

كانت في العهد المملوكي، وهذا العهد هو فترة البناء والتطوير والاهتمام في القدس بشكل واضح[1].

7- أوقاف الرباط: في السجل الشرعي لمدينة القدس رقم 92 لسنة 1024هـ يفيد بأن مبنى الرباط يتألف من قسمين متجاورين احدهما لسكن الأرامل من النساء والآخر لسكن الرجال. ومن الجدير بالذكر انه كان من جملة الوظائف المقررة في الأربطة المذكورة وظيفة تعرف باسم وظيفة السكن بالرباط، كان يقررها القضاة لبعض الناس المحتاجين حتى نهاية المطاف أصبح قسم من الأربطة أشبه بالملاجئ وبيوت العجزة من نساء ورجال[2].

8- الوضع الحالي للرباط: تسكنه عائلات مقدسية فقيرة الحال وهو ضمن الأملاك الوقفية التي تشرف عليها دائرة الأوقاف بالقدس وهو بحاجة إلى ترميم وإعادة تأهيل.

الرباط الزمني

1- الموقع: يقع هذا الرباط على يسار الخارج من باب المطهرة تماماً مقابل المدرسة العثمانية، حيث يفصل بينهما الممر المكشوف الذي يؤدي إلى المطهرة حالياً.

2- التسمية: سمي هذا الرباط على اسم مؤسسة شمس الدين محمد بن الزمن.

3- المنشئ: الخواجا شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن الزمن الدمشقي أحد خواص السلطان الأشرف قايتباي، وقد توفي سنة 897هـ[3].

4- تاريخ الإنشاء: أنشئ في سنة 897هـ/1491م.

5- وصف البناء: يتألف هذا الرباط من طبقتين، يتوصل إليهما عبر مدخل مملوكي تتجلى فيه سمات العمارة المملوكية، فهو ضخم، يشمل ارتفاعه طبقتي الرباط، ومبنى وفق طراز الأبلق الذي تتناوب في مداميكه الحجارة البيضاء والحمراء، ومزخرف بشريط مكتوب عليه بالخط النسخي جاء فيه: "بسم الله

1 زيارة ميدانية، د.ناجح بكيرات 2018/4/3.
2 زيارة ميدانية، د.ناجح بكيرات 2018/4/3.
3 حمد، آثارنا، ص364.

الرحمن الرحيم، انشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله ـ تعالى ـ الخواجكي الشمسي محمد ابن الزمن، خادم الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بتاريخ سنة احد وثمان مائة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله".

ويعلو النقش صفوف جميلة الشكل ومتقنة التكوين من الحنايا المجوفة والمقببة التي تتدلى خلال تتابعها وتدرجها المتناسق، والتي تعرف بالمقرنصات، ويلي المدخل دركاة مسقوفة بطريقة الاقباء المتقاطعة. تفضي إلى ساحة مكشوفة، يحيط بها عدد من الغرف أكبرها الغرفة الجنوبية الشرقية، وهناك سلم حجري تفضي عتباته إلى الطبقة الثانية ثم ساحة مكشوفة أقيم حولها عدد من الخلاوي[1].

6- وظيفة الرباط: تتيح لنا الحجج الشرعية والوثائق في إحياء التراث في الكشف عن وظيفة الرباط الاجتماعية المتمثلة في إيواء الغرباء والوافدين الى بيت المقدس، ووظيفة الإطعام والتدريس، وخاصة في تدريس فقه المذهب الشافعي، وإحياء المناسبات والأعياد الدينية، وممن تولى التدريس فيه علي بن عبد الرحمن العفيفي وكان أشياخه مصطفى الصديقي وممن تولى مشيخة الرباط ونظارة أوقافه والإمامة فيه عبد الرحمن عفيفي في القرن الثاني عشر[2].

7- أوقاف الرباط: للرباط أوقاف عديدة شملت حصصا في قرى حبله وكفر ايبا وكفر حبش حيث بلغ ريعها في منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي 6598 أقجة إضافة إلى طرق إدارتها واستغلالها، وقد تم ترميم وتعمير الرباط من مدخولات الوقف ومن ذلك حجة الكشف على تعميره في (12 جمادى الثانية 1093هـ/18 حزيران 1682م) ما يساعد على وضع تصور عام عن مخططه المعماري العام، حيث يرد ذكر لثلاث عشرة غرفة فيه إضافة إلى المنافع والمرافق والدهليز[3].

8- الوضع الحالي للرباط: حالته المعمارية حسنة وبعض جوانبه بحاجة إلى ترميم وصيانة وإضاءة لكن المبنى في عام 1912م تداعت أحواله وأمرت

1 العسلي، معاهد العالم ص329.
2 العليمي، الانس الجليل، ص79.
3 إحياء التراث، منارات ص119.

البلدية بإخلائه، ثم أعادت أوقاف القدس تعميره، واليوم تسكنه عدة عائلات مقدسية معظمهم من آل العفيفي وبيبوح[1].

رباط النسا

1- الموقع: على يسار الداخل إلى المسجد الأقصى المبارك من باب السلسلة ومقابل التنكزية.

2- التسمية: لان النساء كانت تقيم فيه زمن تنكز الناصري حيث أن هذا الرباط كان للنساء فقط.

3- المنشئ: الأمير سيف الدين تنكز الملكي الناصري من أشهر نواب السلاطين الذين حكموا الشام في عصر المماليك، وكان من كبار العمرانيين.

4- تاريخ الإنشاء: أنشئ في عام 729هـ.

5- وصف البناء: الرباط مكون من طابقين يتوصل إليه من خلال بوابة في الواجهة الجنوبية على شكل ثلاثية القناطر، ولا توجد على البوابة زخارف، ومن البوابة ندخل إلى ممر ضيق عبارة عن موزع على غرف صغيرة متعددة ولكنها مرتفعة، وفي الزاوية الغربية الجنوبية هناك غرفه كبيرة واسعة، وتعلو هذه الغرف غرفة شبيهة بها ولها نوافذ تطل على الساحة الجنوبية أمام باب السلسلة[2].

6- وظيفة الرباط: امتاز هذا الرباط عن غيره من الأربطة كونه اهتم بفئة النساء فقط، واهتم بالناحية التعليمية المنظمة، إضافة إلى وظيفته الإنسانية والاجتماعية والدينية، وخدمة المسجد الأقصى المبارك، فقد أورد العسلي: "إن الرباط كان يقيم فيه اثنتا عشرة امرأة مسلمات، دينات، خيرات، صالحات، عجايز خاليات عن الأزواج، فقيرات، مقيمات في الرباط المذكور، تكون إحداهن شيخة لهن، وأخرى قيمة، وبوابة، وعلى الشيخة إقامة الصلوات، وعلى القيمة والبوابة

1 إحياء التراث، منارات ص119.
2 إحياء التراث، ص120.

فرش الرباط وتنظيفه، على المقيمات في الرباط أن يجتمعن قبل صلاة الصبح كل يوم ويقرأن سورة الإخلاص وفاتحة الكتاب ويصلين على النبي صلى الله عليه وسلم". وقد تم تخصيص مرتب لجميع المقيمات والعاملات في الرباط، وأما شيخة الرباط فلها 20 درهم فضه شهريا ونصف رطل من الخبز يوميا والعجائز في الرباط (7½) درهم فضه شهريا لكل منهن ثلث رطل من الخبز يوميا، وقارئ القرآن في الرباط 15 درهما ونصف رطل من الخبز يوميا[1].

7- أوقاف الرباط: في السجل الشرعي 522 ص23 ما يلي: "وقف الأمير تنكز على مدرسته في باب السلسلة ورباط النسا. نسخه كتاب الوقفية في سنة 730 حمام جوار دكاكين قرب المدرسة، محصول بجوار دار ابن أبو شريعة، قرية عين قينيا تابع قدس طبقتين متجر علو درجة العين، دكاكين في جوار المدرسة وسوق القطانين، ظهر الرباط دكاكين بمحلة قطانين، حكر خان بالقرب من الحمام المزبور، حمام في باب القطانين وبيت كبير طوله 45 ذراعا وعرضه 19 ذراعا مخصص لرباط النساء في المدرسة.

8- الوضع الحالي للرباط: يستخدم الرباط حاليا كفندق صغير Hostol وتديره عائلة التوتنجي بعقد من الأوقاف ووضعه المعماري جيد ولكنه بحاجة إلى خدمات[2].

رباط الملك نجم الدين

1- الموقع: يقع هذا الرباط على يمين الداخل إلى المسجد الأقصى المبارك من باب حطه وحده الجنوبي ملاصق لجدار المسجد الأقصى الشمالي.

2- التسمية: سمي هذا الرباط بهذا الاسم نسبة لمنشئة الملك نجم الدين.

3- المنشئ: انتشاءه الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى والذي كان يشغل ناظراً للقدس والخليل كان عالماً، سمع من ابن السني وغيره، وروى عنه الدمياطي في معجمه، توفي في ذي الحجة

1 زيارة ميدانية، د. ناجح بكيرات 2018/5/5.
2 زيارة ميدانية، د.ناجح بكيرات 2018/5/7.

698هـ ودفن برباطه عن عمر 70 سنة وكان من خيار أبناء الملوك ديناً وفضيلة وإحسانا إلى الفضلاء.

4- تاريخ الإنشاء: أنشئ في سنة 698هـ/1298م.

5- ووصف البناء: يتألف الرباط من طابقين سفلي وعلوي، ويتوصل إليه من خلال البوابة الجميلة المطلة على زقاق باب حطه من الناحية الشرقية، ومن البوابة إلى دهليز يصل إلى غرفة الضريح وفيها شباك يطل على ساحة المسجد الأقصى المبارك، وشباك آخر يطل على طريق باب حطه، وفي الطابق العلوي فيه طبقتين، والسفلي يشمل على بيت غربي، وبيت كبير بداخله صهريج معد لجمع ماء الأسطحة، وعليه بيت كبير به المحراب، والمدفن جوانبه الأربعة مغطاة بالرخام من الداخل[1].

6- وظيفة الرباط ودوره: دوره تعليمي وتربوي وديني وثقافي واجتماعي، حتى أن الرباط جعلوه مدرسة وتولى المشيخة فيه محمد اللطفي، خليل بن أبي الوفا الدجاني، محمد بن علي جار الله[2].

7- أوقاف الرباط: يصف السجل الشرعي 207 ص273 لسنة 1124هـ الرباط وما يحتويه وفي السجل أيضا أن السيد خليل الدجاني المتولي والناظر طلب في تلك السنة (1124) الإذن بتعمير الرباط لأنها كانت آيلة للخراب فصدر له الإذن بذلك[3].

8- الوضع الحالي: وصفه المعماري سيء وبحاجة الى ترميم وتسكنه بعض العائلات المقدسية.

الرباط المـاردين

1- الموقع: يقع رباط ماردين في أول زقاق باب حطه من جهة الطريق العام على يمين الداخل إلى المسجد الأقصى المبارك من باب حطه.

1 العسلي، معاهد العلم، ص131.
2 العسلي، معاهد العلم، ص125.
3 زيادة ميدانية، د.ناجح بكيارت 2018/5/7.

2- التسمية: ينسب الرباط الى مدينة ماردين في تركيا.

3- المنشئ: تم إنشاؤه من قبل امرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين، وقد وقفتاه على من يرد من ماردين إلى بيت المقدس.

4- تاريخ الإنشاء: تم وقفه سنة 763هـ/1391م.

5- وصف البناء: يتكون الرباط من طابقين يتوصل إلى إقامة عبر مدخل جميل على جانبيه مكسلتان ثم ممر ودهليز إلى بوابة اصغر ومنها إلى درج علوي نحو الطابق العلوي والمكون من غرف تطل على الشارع العام من جهة الشمال وعلى زقاق باب حطه من جهة الجنوب، وفي الطابق السفلى عدة غرف جميعها على النمط المملوكي[1].

6- وظيفة الرباط ودوره: يقول مجير الدين: "بباب حطة مقابل المدرسة الكاملية، وهو بجوار تربية الأوحد ووقفه منسوب لامرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين وشرطه أن يكون لمن يرد من مار دين، وقد وقفت على محضر ثابت بوقفه، تاريخ 763هـ[2].

7- أوقاف الرباط: أورد الشيخ يوسف الاوزبكي في كتابه فصول في تاريخ المخطوطات ألمقدسية قوله "وقد كان من مقتنياته نسخة من صحيح البخاري والذي قرأ فيه عدة مرات على بن حسن المارديني في كل رمضان من سنوات(903/904/905/906/907/908/909/910/911/912) وقد أرفق تواريخ القراءة ومن بينها انه سنة 908 ختم القراءة في باب الرحمة[3].

1 العسلي، معاهد العلم، ص252.
2 حمد، من آثارنا، ص360.
3 العسلي، معاهد العلم، ص 252.

8- الوضع الحالي للرباط: الحالة المعمارية للرباط جيدة ولكنها بحاجة إلى إعادة تعمير وترميم، ويسكن الرباط حالياً بعض العائلات المقدسية من دار الرازم والقباني وغيرهم[1].

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: **فإنَّ الإمام الدَّارِمِيّ أحد أئمة الإسلام الكبار من طبقة الإمام أحمد ابن حنبل، وهو عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ الفَضْلِ أَبُو مُحَمَّدٍ التَّمِيْمِيُّ، ثُمَّ الدَّارِمِيُّ، السَمَرْقَنْدِيُّ[2]الحَافِظُ الإِمَامُ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ.**

أثنى عليه الأئمة، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ عنه: "كَانَ أَحَدَ الرَّحَّالِيْنَ فِي الحَدِيْثِ، وَالمَوصُوفِينَ بِحِفْظِهِ وَجَمْعِهِ وَالإِتْقَانِ لَـهُ، مَعَ الثِّقَةِ وَالصِّدْقِ، وَالوَرَعِ وَالزُّهْدِ، .... وَكَانَ عَلَى غَايَةِ العَقلِ، وَنِهَايَةِ الفَضْلِ، يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي الدِّيَانَةِ وَالحِلْمِ وَالرَّزَانَةِ، وَالاجْتِهَادِ وَالعِبَادَةِ، وَالزَّهَادِةِ وَالتَّقَلُّلِ، وَصَنَّفَ (المُسْنَدَ) وَ(التَّفْسِيْرَ) وَ(الجَامِعَ)".

1 زيارة ميدانية، د. ناجح بكيرات 2018/5/10.
2 سير أعلام النبلاء (12/ 224 - 232).

حَدَّثَ عَنْهُ الأئمة: البخاري ومُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَعَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ ـ وَهُوَ أَقدَمُ مِنْهُ ـ وَبَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَعِيْسَى بنُ عُمَرَ السَمَرْقَنْدِيُّ رَاوِي (مُسْنَدِهِ) عَنْهُ، وَآخَرُوْنَ.

قَالَ إِسْحَاقُ بنُ أَحْمَدَ بنِ خَلَفٍ: كُنَّا عِنْدَ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيِّ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ فِيْهِ نَعْيُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَنَكَّسَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَ، وَاسْتَرْجَعَ، وَجَعَلَ تَسِيْلُ دُمُوْعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُوْلُ:

إِنْ تَبْقَ تَفْجَعْ بالأَحِبَّةِ كلِّهم وفناءُ نفْسك ـ لا أبا لك ـ أفجعُ

ـ رحمه الله ـ وجمعنا وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصَّديقين والشهداء والصَّالحين، وحسن أولائك رفيقًا.

وقد وصل كتابه (المُسند) ويُعرف بـ(السُّنن) إلى عصرنا بالسَّند المتَّصل إليه؛ فرواه عنه: أبو عمران عيسى بن عمر بن عباس السمرقندي[1].

ورواه عنه: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمُّويَه السرخسي[2].

ورواه عنه: أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي البوشنجي[3].

ورواه عنه: أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم السجزي الصوفي[4].

وممن رواه عنه: ناسخ المخطوط وهو أبو المعالي، أحمد بن يحيى بن أحمد ابن عبيد الله بن هبة الله البغدادي، الخازن ـ كما سيأتي ـ.

الوصف المادي للمخطوطة:

ناقصة الأول والآخر؛ ناقصة من الأول كراستين، ومن الآخر كراستين تقديرًا، والموجود منها 11 كراسة خماسية، تبدأ من بداية الكراسة الثالثة، وتنتهي بنهاية

1 كان حياً قرب سنة 320 هـ. سير أعلام النبلاء (487/14).
2 (293 هـ - 381 هـ). سير أعلام النبلاء (293/16 – 294).
3 (374 هـ - 467 هـ). سير أعلام النبلاء (222/18 – 226).
4 (458 هـ - 553 هـ). سير أعلام النبلاء (303/20 – 311).

الكراسة الثالثة عشرة. عدد الأوراق: 110 ورقة. مقاس الورقة: (236×177) ملم. عدد الأسطر: 27

أول الموجود:

المقدمة ـ بَابُ اجْتِنَابِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَالْبِدَعِ، وَالْخُصُومَةِ.

آخر الموجود:

كتاب الفرائض ـ بَابُ: فِي الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ وَالْوَلَدِ، وَوَلَدِ الْوَلَدِ.

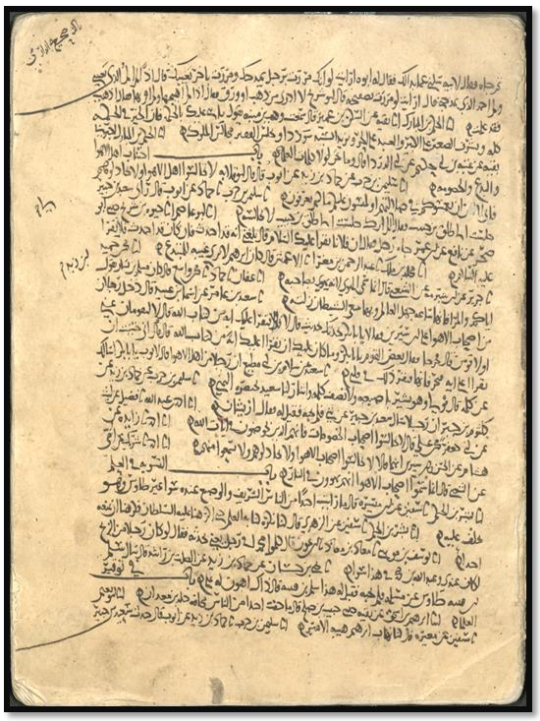

صورة الوجه [أ] من الورقة الأولى من الموجود

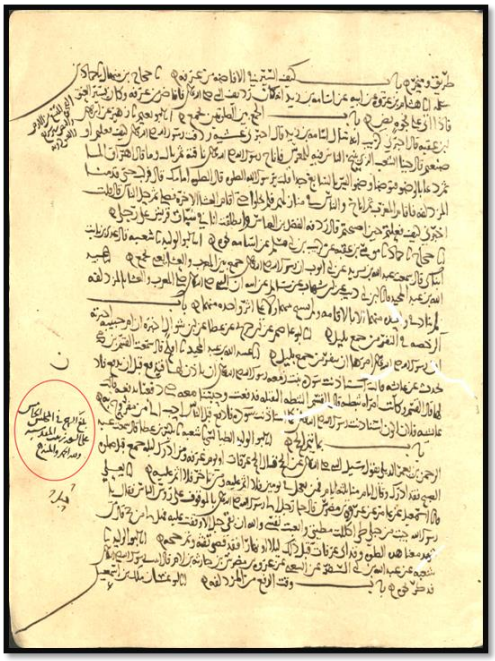

صورة من الوسط، وفيها بلاغ السَّماع في المجلس الخامس على الشيخة زينب المقدسية

تاريخ النُّسخة وبيان قيمتها:

بسبب فقدان الكراستين الأوليين والأخيرتين من المخطوط[1]؛ والتي قد يُذكر في آخرها تاريخ النَّسخ، أو اسم النَّاسخ، أو يكون فيها ما يشير إلى تاريخها كالسَّماعات، والتَّملكات، وغير ذلك: فلا بدَّ من دراسة أوراق النُّسخة ورقة ورقة؛ للوصول إلى تحديد تاريخها.

وقد تفضّل علينا صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبد الله السّريّع ـ حفظه الله ـ أستاذ الحديث النبوي الشريف وعلومه، والخبير بالمخطوطات الحديثية بكتابة تعريف مختصر لهذه النُّسخة النَّفيسة؛ فجزاه الله خيرًا، قال ـ وفَّقه الله ـ: "هذا أصلٌ بغداديٌّ نفيسٌ لـ"كتاب الدارمي"، منسوخٌ في القرن السَّادس دون شك، ومقابَلٌ بأصل المسنِد الشهير أبي الوقت السجزي، الذي سمع الكتاب من الداودي،

1 أول ورقة مخطوطة من هذا الكتاب لمسته يدي كانت في شهر كانون الثاني سنة 2013م، ثم ورقةً ورقةً منه بعد تقليب آلاف من أوراق الدشت المشتت بين مكتبة المسجد الأقصى وغيرها؛ حتى إذا غلب على ظني أني لن أجد المزيد رتّبته، ولم أرقمه أملا بالحصول على بقيته. فاللَّهم جازِ كل من سعى في جمع شمله خيرًا، ومن أبى فاللَّهم فرِّق شمله ومزِّق أمره؛ جزاء ما منع المسلمين من تراثهم.

عن ابن حمويه، عن عيسى بن عمر السمرقندي، عن الدارمي. وقد نثر الناسخ في النسخة بلاغاتِ مقابلته بأصل أبي الوقت.

ونقل الناسخ، أيضًا، سماعاتِ أبي الوقت على الداودي في مواضعها التي هي نهاياتُ أجزاءِ أصل الداودي، وهي مؤرَّخةٌ في شهور سنة 465هـ، غير أن الناسخَ إنما نقلها مختصرةً عن خط أبي بكر محمد بن علي الكرجي، الذي حوَّلها من الأصل (إلى نسخة أبي الوقت) في غرة ربيع الآخر سنة 527هـ.

وأما الناسخ، فالإشارات إليه في النسخة كما يلي:

[1] وصَفَ الناسخُ أبا الوقت السجزي بـ"شيخنا" في عدة مواضعَ من بلاغات المقابلة بأصله، وقد توفي أبو الوقت سنة 553هـ، فلا بد أن الناسخ عاش في القرن السادس.

[2] توجد بلاغاتُ سماعٍ للناسخ نفسِه، بنفس خط النسخة ـ دون شك ـ في مواضع عديدة، ومفادها في الجملة ما يلي:

أ- كان السماع على أبي الوقت السجزي.

ب- كان السماع بقراءة "ابن شافع"، وقد ترحَّم عليه الناسخُ في موضعين على الأقل، وهذا يوضح أنها بلاغاتٌ نقلها الناسخُ إلى نسخته الخاصة عن أصل سماعه على الشيخ، إذ لو كانت بلاغاتٍ أصيلةً مكتوبةً في وقت القراءة والسماع لَمَا ترحَّم على القارئ.

وإذا أُطلق في ذلك الزمن "ابن شافع"، فهو الحافظ المتقن أحمد ابن صالح بن شافع الجيلي (ت 565هـ).

ج- كان مع الناسخ أَخَوان اثنان له في جميع مجالس السماع.

د- كان السماع في جامع القصر (ببغداد).

هـ- الموجود في النسخة بلاغاتُ المجالس التالية ـمع تواريخها كما وردت فيهاـ: المجلس الثاني (بكرة الجمعة 19 محرم 53هـ)، الثالث (بعد صلاة الجمعة 19 محرم 53هـ)، الرابع (الجمعة 25 صفر)، الخامس (الجمعة 2 ربيع الأول)، السادس (الجمعة 23 ربيع الأول)، السابع (الجمعة 8 ربيع الآخر)، الثامن (الجمعة 11 ربيع الآخر 53هـ).

ويلاحظ أن التاريخَ الأخيرَ لا يمكن أن يكون صحيحًا بالنظر إلى ما قبله، وهو يؤكد ما سبق من أن الناسخ ينقل هذه القيود نقلًا، وليس يكتبها في وقتها، حيث تصحَّف عليه التاريخ الأخير من: "خامس عشر" إلى: "حادي عشر".

ومن خلال التواريخ السابقة، وتقريب عصر الناسخ، يتبين أن هذه السماعات كانت في سنة 553هـ لا غير، وهي السنة التي توفي فيها أبو الوقت، والظاهر أن الناسخَ قد أدرك سماع الكتاب كلِّه منه، فإن وفاة أبي الوقت كانت في أواخر تلك السنة (ليلة 6 ذي القعدة).

[3] حدَّد الناسخُ بعضَ تواريخ نقله لسماعات أبي الوقت من الداودي، التي نقلها عن خط الكرجي ـ كما سبق ـ فجاءت كما يلي: السادس والسابع من أجزاء الداودي (ذي الحجة 565هـ)، الثامن (سنة 66هـ)، التاسع والعاشر (محرم 66هـ).

[4] أوضحُ إشارةٍ إلى الناسخ هي قوله في نقل سماع أبي الوقت للسادس من أجزاء الداودي (لقطة 63): "نقله أبو بكر محمد بن علي الكرجي من الأصل في غرة ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة. نقله مختصرًا ابنُ هبة الله من خطه، في ذي الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة". ولا شكَّ أن الناسخَ يقصد نفسَه في قوله: "نقله مختصرًا"، لأنه قال في الموضع ذاتِه من نقل سماعاتٍ أخرى: "نقلتُه مختصرًا".

فيتّـضح من مجموع ما سبق:

- **أن الناسخ كان يسمع الحديث سنة 553هـ.**
- **وكان يعالج نسخته من "الدارمي"، وينقل سماعاتها آخرَ سنة 565هـ، وأولَ السنة التي تليها 566هـ. والظاهر أن ذلك كان قربَ كتابتِه للنسخة نفسِها، أي: أنه كتبها سنة 565هـ.**
- **وأنه ينتسب إلى أبٍ أو جدٍّ اسمه: هبة الله، حيث أطلق على نفسه: "ابن هبة الله".**

وبعد البحث والتنقيب في تلك الطبقة، يترجَّح لي ـ والله أعلم ـ أن الناسخَ هو أبو المعالي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله البغدادي، الخازن. يؤيد ذلك:

[1] أنه معروفٌ بالكتابة ونسخ الدواوين الكبار، ومن منسوخاته المذكورة في ترجمته: مسند أحمد، والصحيحان، وطبقات ابن سعد، وتاريخ بغداد، وأغاني الأصفهاني، وغيرها، بل قال الصفدي: "ولم يزل يكتب إلى أن مات".

2- وأن له أخوين معروفين هما: أبو محمد عبد المنعم ـ وهو الأوسط ـ، وأبو بكر زيد ـ وهو الأصغر ـ وقد نصَّ ابن نقطة في ترجمة زيد هذا أنه سمع "مسند الدارمي" على أبي الوقت.

وأبو المعالي المذكور معروفٌ بالثقة وصحَّة السماع والعدالة والدين، وقد روى عنه الحافظ الضياء المقدسي، وكناه في موضعٍ أبا العباس، وهي كنيةٌ كناه بها أيضًا تلميذه ابن الصيقل الحراني. وكانت وفاتُه ببغداد في 14 شعبان، سنة 603هـ.

وقد بحثت عن منسوخاتٍ للرجل، لعلها تؤكد أو تنفي هذا الترجيح، لكني لم أوفَّق في الوقوف على شيءٍ منها، رغم أن خطَّه مألوفٌ غيرُ غريب، فلعل فاضلًا يفيد بذلك، وله الأجر والشكر.

هذا، وعلى النسخة بلاغاتٌ وسماعاتٌ أخرى بخطوط بعض الأعلام، أبرزها بلاغٌ بخط الحافظ سبط ابن العجمي، لكنها تحتاج نظرًا ودراسةً مستقلة، وكان المقصودُ الأعظمُ بالبحث هنا تقريبَ الناسخ وتاريخ النسخ. والله ـ تعالى ـ أعلم.

وكتب: محمد بن عبد الله السريّع ـ الجمعة 28 جمادى الآخرة 1439هـ".

ملاحظة:

وممَّا ينبغي الإشارة إليه:

أنَّ العلَّامة محمد بن محمد بن يحيى النَّدرومي الكومي المالكي من ندرومة من أعمال تلمسان الجزائر، (ت 775هـ) رحل إلى بيت المقدس وسكنها، وقرأ على علمائها كثيرًا من الكتب، وكتب بخطه ثبته المشهور الذي دوَّن فيه أسماء الكتب التي سمعها وأسانيدها، وفيه تواقيع العلماء المُسمَع عليهم منهم الحافظ ابن كثير صاحب التفسير.

وممَّا جاء فيه: "وسمع صاحب البيت المبارك الشيخ محمد الندرومي وولده أبو الخير محمد في الثالثة[1] جميع مسند الدارمي على الشيخ الإمام العلَّامة أقضى القضاة مفتي المسلمين تاج الدين أبي الأنفاق أبي بكر بن علاء الدين أبي العباس

---

1 أي في السنة الثالثة من عمره.

أحمد بن أبي عبد الله محمد الأموي[1] بسماعه خلا من أول الكتاب إلى باب الاقتداء بالعلماء، من الملك الأوحد[2] نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب رحمه الله، بسماعه من أبي المنجا عبد الله بن عمر بن اللتّي[3]، أنا[4] أبو الوقت عبد الأول السجزي أنا أبو الحسن الداودي، أنا أبو محمد السرخسي، أنا أبو عمران السمرقندي، أنا الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي؛ فذكره، وصحَّ وثبت في مجالس أحد عشر، أول ذلك يوم الاثنين السادس والعشرون من جمادى الآخرة، وآخرهم يوم الخميس السابع من رجب الفرد من سنة إحدى وستين وسبعمئة، داخل باب حِطة[5] من المسجد الأقصى، وأجاز ... متلفظًا بذلك. والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد".

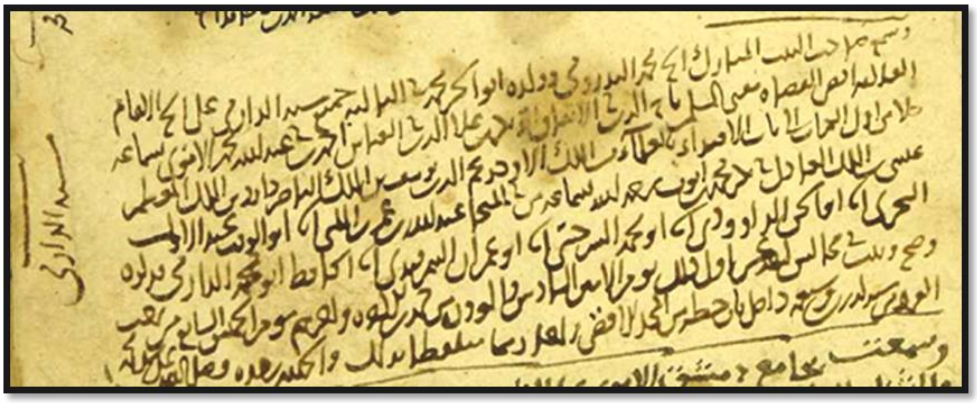

سماع الندرومي ـ صاحب الثبت ـ وولده لِـ[مسند الدارمي]

ولا يوجد في مدينة القدس إلا نسخة واحدة من (مسند الدارمي)؛ فلعلها هي والله أعلم.

---

1 (ت 782 هـ) ودفن بمقبرة باب الرحمة بالقدس. الأنس الجليل (212/2).

2 (628 هـ - 698 هـ بالقدس). ذيل التقييد (320/2 – 321). ودفن بتربته الأوحدية التي أنشأها على يسار الخارج من باب حطة.

3 الحريمي البغدادي (545 هـ - 635 هـ). سير أعلام النبلاء (15/23 – 17)، تاريخ الإسلام (240/46-242).

4 أي أخبرنا.

5 وهو الباب الثاني بعد باب الأسباط الواقع في الرواق الشمالي للمسجد الأقصى.

وختامًا أقول: **إنَّ هذه النُّسخة المخطوطة النَّفيسة من (مُسند الإمام الدارمي) نُسِخَتْ في بغداد، عن أصل الإمام المُسْنِد أبي الوقت السجزي، وقُرِئت عليه في جامع قصر الخليفة العباسي، ثمَّ انتقلت إلى المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف، ورحل إليها العلماء والطلبة لقراءتها وسماعها، وحُفِظَت في المسجد الأقصى المبارك لمئات من السنين؛ تظهر اليوم لتَسْبِقَ النُّسَخَ الأخرى من الكتاب مكانة وعلوًا، وتدفع أهل التخصص لإعادة تحقيق الكتاب ونشره.**

ومع عظيم فرحي بظهور تلك النُّسخة إلا أن حُزني وضيق صدري على فقد باقي أوراقها يوازي أو يزيد على ذلك الفرح؛ كيف لكتاب مكوَّنٍ من (150) ورقة أن تُفْقَد منه (40) ورقة؛ (20) من أوله، و(20) من آخره؟! أُرَجِّحُ أنَّ الـ(40) ورقة لم تخرج من سور مدينة القدس!!.

لكنَّ أملي بالله ـ عز وجل ـ أولا بالفتح والتَّيسير، ثم بأهل الفضل والغيرة على هذا التراث النَّفيس من محبي المسجد الأقصى المبارك على الحقيقة أن يكون لهم دورٌ فعَّال لإظهار هذا التُّراث النَّفيس وحفظه للأجيال القادمة؛ وهو في حقيقته مظهرٌ من البركات العلمية للمسجد الأقصى المبارك.

وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

وبالله التوفيق

تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم في

سورة النور

خالد أبو جمعة ـ مدرس المسجد الأقصى المبارك

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، والصلاة والسلام على خير البشر، الحبيب المصطفى ﷺ، البشير النذير السراج المنير الذي عم نوره الأفاق، والنور الذي لا يعترض ضياءه كسوف ولا محاق، إذا سار؛ سار النور معه، وإذا نام فيّح الطيب

مضجعه، وإذا تكلم خرج النور منه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسلم تسليما كثيراً إلى يوم يبعثون.

وبعد: لقد امتدح الله نبيه محمداً ﷺ على سمو أخلاقه، فقال ـ عز وجل ـ:

***وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ*[1].**

وقد ظهر هذا الخلق العظيم من خلال سيرته الطَّاهرة، ومعاشرته للناس، ولقد سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ كيف كان خلق النبي ﷺ؟ فقالت: (كان خلقه القرآن)، **أي: كان عاملاً بأخلاق القرآن وآدابه؛ ممتثلاً حكمة الله في إنزال القرآن ليتدبرَ ويعملَ به، فكان أولى الناسِ وأوّلَهم عملاً به وامتثالاً لأوامره سيدُ الخلق ﷺ.**

وقد حث الرسول ﷺ على الأخلاق وبيّن منزلتها من الدين في أحاديث كثيرة، ومنها: عن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادةَ، وأبي عبْدِ الرَّحْمنِ مُعاذِ بْنِ جبلٍ ـ رضيَ اللَّه عنهما ـ عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[2].

وعن أَبي أُمَامَة الباهِليّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وبيت في ألعلى الجنة لمن حسن خلقه)[3].

لذلك فإن مقام نبينا ﷺ عظيم، وإنّ محبتَه ليست كمحبة أي شخص كائناً من كان، لأنَّ الله ـ عز وجلَّ ـ أنه كمّله بالكمال البشري؛ واصطفاه لختم الرسالات؛ وبعثه للناس كافة بالرحمة والهداية، فمحبة النبي ﷺ عبادةٌ عظيمةٌ؛ نتعبد بها لله ـ عز وجل ـ وقربةٌ نتقرب بها إلى الله، فهي أصل عظيم من أصول الدين؛ ودِعامة أساسية من دعائم الإيمان؛ كما قال ـ تعالى ـ:

***النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ*[4].**

---

1 سورة نون، الآية 3.
2 رواه الترمذي.
3 رواه أبو داود.
4 سورة الأحزاب، الآية 6.

وكما قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين)[1].

سورة النور:

هكذا سماها ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ بهذا الاسم الجميل، بهذا الاسم المشعّ، سورة النور، والنور شيءٌ محببٌ إلى كل نفس، فالنُّور حياة وأمل، فقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ النُّور بلفظه، متصلا بذات الله:

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ[2].

وذكر النُّور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح، كالآداب والأخلاق التي تنير القلوب، وتنير الحياة لكل مسلم ومسلمة.

أخي القارئ الكريم:

هذه السورة سمَّاها الله ـ عز وجلَّ ـ كما سمى غيرها من سور القرآن الكريم، وذلك لما فيها من أحكامٍ اجتماعيةٍ عظيمة تنير حياة الناس وتشع على واقعهم بأضواء تميز لهم بين الخير والشر، والحق والباطل، والنفع والضر، فاسم السورة يشير إلى ما فيها، أما توقيت نزولها فكان نزولها بعد الهجرة، في السنة الخامسة، لذلك صنَّفها العلماء من السور المدنية، والسور المدنية تشتمل على أحكامٍ وحدودٍ وآدابٍ وتشريعات، وفي هذه السور (النور) آدابٌ اجتماعيةٌ عظيمة لا تستغني المجتمعات السليمة عنها، وذُكر في فضلها أنها سورةٌ فاضلةٌ جدّاً، وهي جديرةٌ بالتعلم والقراءة والحفظ والتفسير، وأن نعرف معانيها وأحكامها لأنه لا غنى لنا عنها. وقد قدَّمت لنا هذه السورة موضوعات عظيمة جليلة، وها أنا أُخصِّصُ مقالي هذا عن مدح الله ـ عز وجلَّ ـ للرسول الأكرم، والنَّبي الأعظم ﷺ، فقد كرَّمه الله ـ سبحانه ـ تكريما عظيما في هذه السور.

تكريم النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النور:

في هذه السورة العظيمة صوَرٌ عدَّة مِن تكريم وتعظيم الله ـ عز وجل ـ لنبيِّه ﷺ، فمن ذلك:

---

1 رواه البخاري.
2 سورة النور، الآية 35.

[1] تبرئة زوجه عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ ممَّا قُذفتْ به بآيات تُتلى.

وقد بدأت هذه البراءة بنَفي ذلك عنها فيما مضى، فقال ـ تعالى ـ: *إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ*(1).

فهذه الآية تخص ما كان سببًا لنزولها في قصَّةٍ خلَت، ثمَّ طمأنه فيما يستقبل؛ كي لا يتطرَّق إليه خوف مِن ذلك ولا شكٌّ، فقال ـ تعالى ـ في آخر الآيات التي تناولَتِ الإفكَ وما ترتَّب عليه من أحكام:

***الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ*(2).**

فالنبيُّ ﷺ طيِّب؛ بل هو أطيب الطيِّبين، وما اختار الله له مِن النِّساء إلَّا أطيبَهنَّ؛ وهذا من تَعظيم شأنه ﷺ ولا شك.

[2] تبرئة النبيِّ ﷺ من الهوى والحيف في الحُكم، فقال ـ تعالى ـ: *أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ*(3)

وقوله: (يَحِيفَ) من الحيف، وهو الميل إلى أحد الجانبين، يقال: حاف فلان في قضائه، إذا جار وظلم. أي: ما بال هؤلاء المنافقين يعرضون عن أحكام الإسلام ولا يقبلون على حكم الرسول ﷺ إلا إذا كانت لهم حقوق عند غيرهم، أسبب ذلك أنهم مرضى القلوب بالنفاق وضعف الإيمان؟. أم سبب ذلك أنهم يشكون في صدق نبوته ﷺ؟ أم سببه أنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟. لا شك أن هذه الأسباب كلها قد امتلأت بها قلوبهم الفاسدة، وفضلا عن ذلك فهناك سبب أشد وأعظم، وهو حرصهم على الظلم ووضع الأمور فى غير مواضعها، ولذا ختم ـ سبحانه ـ الآية الكريمة ـ بقوله:

***بَلْ أولئك هُمُ الظالمون*.**

---

1 سورة النور، الآية 11.
2 سورة النور، الآية 26.
3 سورة النور، الآية 50.

أي: بل أولئك المنافقون هم الظالمون لأنفسهم ولغيرهم، حيث وضعوا الأمور فى غير موضعها، وآثروا الغي على الرشد، والكفر على الإيمان .أ. هـ[1].

[3] تقرير وجوب طاعته ﷺ في عدَّة مواضع مِن هذه السورة؛ وذلك بصور شتَّى:

أولاً: مرة حكى وجوبَ طاعته والإيمان به مِن قول الظالمين ليثبتوا بذلك إيمانهم؛ وذلك لأنه كان مستقرًّا عندهم أنَّ طاعته مِن أركان الإيمان، فقال ـ تعالى ـ:

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ[2].

ولما لم يوافِق قولهم هذا الذي حكوه حالهم، نفى عنهم الإيمانَ.

ثانياً: جعل طاعته شعارَ المؤمنين المفلحين، فقال ـ تعالى ـ: *إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*[3].

ثالثاً: بشَّر ـ تعالى ـ أهلَ طاعته وطاعة رسوله ﷺ بالفوز، فقال: *وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ*[4].

رابعاً: أمره أن يأمرهم بطاعته وطاعة نبيّه ﷺ، فقال: *قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ*[5].

خامساً: رتَّب الله ـ تعالى ـ الهدايةَ على طاعته ﷺ، فقال: *وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا*[6].

سادساً: قرن الله ـ تعالى ـ طاعته ﷺ مع الصلاة والزكاة، جاعلًا ذلك مِن أسباب الرحمة، فقال ـ تعالى ـ: *وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ*[7].

---

1 التفسير الوسيط للقرآن الكريم / محمد سيد طنطاوي.
2 سورة النور، الآية 47.
3 سورة النور، الآية 51.
4 سورة النور، الآية 52.
5 سورة النور، الآية 54.
6 سورة النور، الآية 54.
7 سورة النور، الآية 56.

إذن أخي الكريم: **هذه الآيات الكريمة من سورة النُّور والتي تحثُّ على طاعة الرسول ﷺ، هي جزءٌ من آيات كثيرة جاء بها القران العظيم، وبصيغ متنوعة، وعلى وجوه متعددة، فتارة يقرن بين طاعة الله ـ سبحانه ـ وطاعة رسوله ﷺ بأمر واحد وفعل واحد:**

***قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ*[1].**

وفي آية أخرى: *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ*[2].

فعطف طاعة الرسول ﷺ على طاعته، ولم يكرر الفعل؛ إعلامًا بأن طاعة الله ـ تعالى ـ لا تتحقق إلا بطاعة رسوله ﷺ، فهذا الخطاب المُوَجَّه في الآيات السَّابقة للمؤمنين، فيه أمرٌ وحثٌّ لهم على طاعة رسول الله ﷺ، وفيه أيضاً توجيهٌ عام للمؤمنين بأنَّ اللهَ أرسله ﷺ لكم لتُطيعوه، وعليكم أيها المسلمون أنْ تأتَمِروا بما يأمركم به، وتنتهوا عمّا ينَهاكم عنه، فطاعته ﷺ مُطْلقة؛ لأنَّه مَعْصوم من الله ـ تعالى ـ ولولا عِصْمته ما أمَرَ الله بطاعته طاعةً مطلقة. وعلينا أنْ نفهم جيداً أنَّ طاعة الرسول ﷺ دليلٌ على محبَّة العبد لله ـ تعالى ـ.

قال ـ تعالى ـ: *قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي*[3].

فعَلامة مَحبَّة الله ـ تعالى ـ هي الاتِّباع، ولا يَكون هذا إلاَّ إذا كان واقِعًا نَحْياه في حياتنا، في السرَّاء والضرَّاء، وفي الشدَّة والرَّخاء، وفي العسر واليُسر، والمَنْشَط والمَكْرَه. فطاعة الرسول ﷺ يترتَّب عليها الثَّواب والعقاب؛ فإنَّ هذه النُّصوص ليست فقط لِمُجرَّد السَّرد والمُطالَعة، وليس فِعْل أوامره واجتناب نواهيه مجرَّدَ طقوسٍ تُؤدَّى في الحياة الدُّنيا وحَسْب، بل رتَّب الله ـ تعالى ـ على طاعته ثوابًا وعقابًا في الآخرة، فالثَّواب الجزيل لِمَن أطاعه، والعذاب الأليم والنَّكال لمن عصاه.

---

1 سورة آل عمران، الآية 32.
2 سورة الأنفال، الآية 20.
3 سورة آل عمران، الآية 31.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ:** (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[1]، **فطاعته سببٌ لدخول الجنَّة، ومخالفة أمره سببٌ للوقوع في الفتنة والعذابِ الأليم ودخول النَّار، ولا ننسى أبداً أنَّ الله ـ سبحانه ـ حذَّرنا من مخالفة أمره ﷺ.**

قال ـ تعالى ـ: *فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*[2].

فالله يَنْصحهم بألاَّ يُخالفوا أمر الرسول؛ لأنه سيصيبهم شرٌّ من مُخالفته وعذابٌ أليم. وقد روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحه عن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ: "أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسولِ اللَّه ﷺ بِشِمَالِهِ فقالَ: (كُلْ بيمينك) **قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قالَ:** (لا استطعت ما منعه إلا الكبر)**. قال: فما رفعَها إلى فيه.**

نعم، أخي الحبيب: **لقد شُلَّت يد هذا الرجل بسبب تكَبُّره عن سُنَّة النبِيِّ ﷺ وبسبب دُعاء النبي ﷺ عليه، ولولا أنَّ أمر السُّنة مهمٌّ لِهذه الدَّرجة لما أمَرَنا الإسلام بكلِّ هذا الأمر، ونبَّهَنا عليه بشدة، ومع كلِّ هذه الأوامر، فإنَّنا نجد الكثير ممن يدَّعون الإسلام، يتَهاونون بها ويحطُّون من شأنها، وقد تشبَّهوا بالأجانب في مأكلهم ومشربهم، ونِكاحهم وزيِّهم، وأمور حياتهم كلها من ألِفها إلى يائها، فكان هَدْي الكفار أقرب إلى قلوبهم وأحبَّ من هدي النبيِّ ﷺ والله المُستَعان، ولم يعلموا أو يتعلَّموا أو يهتمُّوا بأمر سنة النبي ﷺ، فالسُّنَّة هي ما كان عليه النبيُّ ﷺ من الأقوال والأفعال، فهي طريقةُ النبيِّ ﷺ في عبادة الله وتقرُّبه إلى ربِّه ـ عز وجلَّ ـ فالسُّنَّته هي حياته ﷺ كلها، وهي صفةُ عِبادته، وطاعته، وجهاده، وسِلمه، ونكاحه، ونومه، وقيامه، وأكله، وشربه، وقضاء حاجته، هي ذِكرُه، واستِغفاره، وتسبيحه، وحمده ومدحه لله ـ عز وجل ـ هي منهج النبيِّ ﷺ منذ بُعِث إلى أنْ توفَّاه الله ـ تعالى ـ.**

---

1 رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

2 سورة النور، الآية 63.

لذلك على كلِّ مسلم أنْ يتَّبع رسولَ الله ﷺ في ذلك كلِّه، وأنْ يلتزم بسنَّته، وأنْ يُعظِّمها، وأنْ يعمَلَ بها ويُطبِّقها كما هي مِنْ غير إفراطٍ ولا تفريط، فالذي يشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، عليه أنْ يفهَم أنَّ مُقتَضى ذلك هو عِبادةُ الله وحدَه على طريقة النبيِّ ﷺ، فيُؤدِّي ما افتَرَضَه الله عليه من العبادات، كما كان يفعَلُها النبيُّ ﷺ فيُصلِّي كما صَلَّى ﷺ ويصومُ كما صام، ويزكِّي كما زكَّى، ويحجُّ كما حجَّ، ويذكُر الله كما ذكَر، ويأمُر بالمعروف وينهى عن المنكر كما أمَر ونهى ﷺ. فالمسلم الصَّادق المُحبُّ لرسوله ﷺ، يلتزم بكلِّ ذلك وأكثر، فيُسبِّح الله كمَّا سبَّح ﷺ، ويستغفرُ كما استغفَر، وهكذا في سائر العِبادات والعقيدة، أي شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه.

ويعتقد جازماً أنَّ ما جاء به الرسول ﷺ فرضٌ عليه، ويتعين عليه الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأنَّ النَّصَّ والحُكم الصادر من رسول الله ﷺ على شيء كنصِّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد ـ مهما كان ـ على رسول الله ﷺ، لأنَّ هذا الأمر صادر من ربِّ العالمين، بوجوب طاعة رسوله ﷺ، وهذا واضحٌ في كتابه العزيز حيث ألزمهم بها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد ورد عن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ أنّه قال: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا"[1].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "أمر الله بطاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعاً من القرآن، وقَرَنَ طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يُذكر الله إلا ذُكِر معه"[2].

ومن تكريم الله ـ عز وجلَّ ـ للنبي ﷺ في سورة النُّور أيضاً:

---

1 **الصارم المسلول على شاتم الرسول / ابن يتيمة / ص 116.**

2 **مجموع الفتاوى (103/19).**

[4] التأكيد على وجوب الإيمان به ﷺ بأسلوب القَصر: [إنما]، ثمَّ النَّهي عن كل ما يكدر خاطرَه الشريف ويَحزُن فؤادَه الطاهر، وذلك مثل: الذَّهاب عنه، والقيام عن مجلسه دون استئذانه.

فقال ـ تعالى ـ: *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ*[1].

نزلت هذه الآية تعلم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بعض الآداب في تعاملهم مع النبي الكريم ﷺ، وتحذرهم من التشبه بحال المنافقين الذين لا يراعون خلقاً ولا أدباً.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "هذا أدب أرشد الله عبادَه المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه، من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك، فقد أمرهم الله ـ تعالى ـ ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته، وأن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين، ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء.

ولهذا قال: *فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ*.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "قال رسول الله ﷺ: (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلِّم، فإذا أراد أن يقوم فليسلِّم، فليست الأولى بأحق من الآخرة**)**[2].

[5] النَّهي عن مخاطبته ﷺ كما يُخاطَب آحاد النَّاس؛ فلا يُدعى باسمه المجرَّد حتى يُقرَن بالنبوَّة أو الرسالة، فقال ـ تعالى ـ:

---

1 سورة النور، الآية 62.
2 رواه الترمذي أ .هـ تفسير القرآن العظيم (88/6).

***لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا*[1].**

إنَّ تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، فالله ـ عز وجلَّ ـ أمر بتعزيره وتوقيره، فقال ـ سبحانه ـ:

***وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ*[2].**

فالتعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار. لذلك خصّه ـ عز وجلَّ ـ في المخاطبة بما يليق به، فقال:

***لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا*[3].**

وهنا نهيٌ واضحٌ وصريحٌ أنْ نقول: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن جاء الأمر بأنْ نُخاطبه بقولنا: يا رسول الله، يا نبي الله مع الصلاة والسلام عليه، كما قال ﷺ: (البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ)[4].

وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ)[5]، **وكيف لا يخاطبونه بذلك والله ـ سبحانه وتعالى ـ أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يُخاطبه الله ـ عز وجلَّ ـ بشخصه، ولم يَدْعُه باسمه في القرآن كلِّه، بخلاف ما خاطب به ـ تعالى ـ أنبياءه السابقين ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ فلم يقل: يا محمَّد، بل كانت مناداته له بالنبوة والرسالة حيث خاطبه ـ سبحانه ـ في القران الكريم بصيغتين:** (يا أيُها النبيّ)، (يا أيها الرسول)، **وما ناداه باسمه الشريف ﷺ إلا في أربعة مواضع اقتضت الحكمة فيها أنْ يُذكر. لذلك جاء أمرُ من الله أن يُهاب جنابُ**

---

1 سورة النور، الآية 63.
2 سورؤة الفتح، الآية 9.
3 سورة النور، الآية 63.
4 رواه الترمذي.
5 رواه الترمذي.

نبيِّه، وأن يُبجَّل، وأن يُعظم، وأن يسود سيادة تليق به صلى الله عليه وسلم، فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده، فقال:

لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا[1].

ولذلك فإنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذ يؤدب أهل الإيمان أن يكون هذا تصرُّفهم، إبان معاصرتهم للنبي الكريم ﷺ وفي حياته الشريفة، ولكنَّه حكم باق للأمة جميعًا إلى قيام الساعة، فهذه الآداب يتعين الحفاظ عليها بعد موته ﷺ بحضرته عند قبره الشريف، فلا يصح ولا يجوز أن يكون لغط الأصوات، ولا رفع الصوت بالكلام عند قبره الشريف، ولا إثارة الضوضاء.

وعلى كلِّ مسلم ومسلمة أنْ يُقدّروا رسولَ الله ﷺ ويرفعوا مكانته ﷺ عندما يُذكرُ في الدروس والخطب والمحاضرات، وفي المجالس واللقاءات مع المسلمين ومع غيرهم، وفي المؤلفات والكتب ووسائل الاتصال ومع أولاده وأصدقائه، فمن حق النبي ﷺ على أمته أن يُهاب ويعظم ويوقر ويجل.

كيف لا؟! والله ـ عز وجلَّ ـ أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به، فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة، فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه ونُكثر من الصلاة عليه ﷺ.

[6] الوعيد الشَّديد على مخالفة أمره ﷺ وذلك أنَّ متعمِّدَ مخالفة أمره يُفتَن بالدنيا بما ترك مِن أمره، وأمَّا في الآخرة، فله عذاب موجِع مؤلِم، فقال ـ تعالى ـ:

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[2].

لقد حذر الله ـ تبارك وتعالى ـ من مخالفة طريقة رسوله ﷺ وسيرته ومنهجه، فقال: *فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*[1].

---

1 سورة النور، الآية 63.
2 سورة النور، الآية 63.

قال ابن كثير في تفسيره ـ رحمه الله ـ: أي ـ يخالفون ـ عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله كائناً من كان. أ.هـ[2].

إذن فالمعنى واضح: ليحذر وليخش على نفسه من خالف شريعة الرسول ﷺ وطريقته باطناً أو ظاهراً، مِنْ أنْ تُصيبه فتنة في قلبه من كفر أو نفاق، أو يُصيبه عذاب أليم في الدنيا بقتل أو حد أو حبس، أو عذاب في الآخرة.

وأخيراً أختم مقالي هذا بأثرين جميلين، هما:

الأثر الأول: **قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: "لا تغترَّ بقولك: المرءُ مع من أَحَبّ، إنه من أَحَبّ قومًا اتبع آثارهم، ولن تلحقَ بالأبرار حتى تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسنتِهم، وتصبحَ وتمسي وأنت عَلَى منهاجهم، حريصًا أن تكون منهم، وتسلك سبيلهم، وتأخذ طريقهم، وإن كنت مقصرًا في العمل؛ فإن مَلاكَ الأمرِ أن تكون عَلَى استقامة، أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء المردية يحبون أنبياءهم ليسوا معهم؛ لأنهم خالفوهم في القول والعمل، وسلكوا غير طريقتهم فصار مأواهم النار؟ نعوذ بالله من النار"[3]. أ .هـ.**

الأثر الثاني: **كان أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقول: "لستُ تاركًا شيئًا كان رسولُ الله ﷺ يعملُ به إلا عملتُ به، وإني لأخشى إن تركتُ شيئًا من أمرِه أن أزيغ" فقد عقَّب عبيد الله بن محمد العكبري، المعروف ابن بطَّة ـ وهو من فقهاء الحنابلة وحُفَّاظها ـ على كلمة الصديق تلك فقال: "هذا يا إخواني الصِّديقُ الأكبرُ يتخوف على نفسه من الزيغ إنْ هو خالفَ شيئًا من أمر نبيِّه ﷺ فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهلُه يستهزئون بنبيِّهم وأوامره ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته؟! نسأل الله عصمةً من الزلل ونجاةً من سوء العمل"[4].**

---

1 سورة النور، الآية 63.
2 تفسير ابن كثير318/3
3 مجموع رسائل ابن رجب (1/ 253).
4 أ .هـ الإبانة الكبرى ج1، ص 245، 246.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

أ. د: تيسير جبارة

كانت فلسطين تحت الحكم العسكري الإنجليزي منذ دخول الإنجليز القدس بتاريخ 1917/12/9م وحتى حزيران عام 1920، وانتهت الإدارة العسكرية، وحلت محلها الإدارة المدنية برئاسة "هربرت صموئيل" الذي عُيّن مندوبا ساميا ممثلا لملك بريطانيا على إدارة فلسطين، والمعروف أن صموئيل يهودي إنجليزي.

وصل صموئيل فلسطين في 1920/6/30م، وسمح لليهود بتأسيس وكالة يهودية كي تقوم بالتخطيط لإنشاء الوطن القومي اليهودي كما أفقر الفلاح كي يغادر أرضه.

وخطط "صموئيل" على جعل فلسطين يهودية كما هي فرنسا فرنسية، وإنجلترا إنجليزية[1]. وبعد تسلّمه السلطة أصدر أمره بتأليف مجلس استشاري كان نصف أعضائه من الموظفين الإنجليز والباقون هم أربعة من المسلمين، وثلاثة من المسيحيين، وثلاثة من اليهود.

رفض العرب قبول المجلس الاستشاري لأن نصف الأعضاء إنجليز. بدأ "صموئيل" الحكم في فلسطين بتهويد أجهزة الحكم، فوضع على رأس كل دائرة موظفا إنجليزيا يهوديا، ومن أخطر الشخصيات اليهودية التي قام بتعيينها هو "نورمان بنتويش" إذ عيّنه سكرتيرا قضائيا في حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين[2].

---

1 تيسير جبارة، تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان، 2016م، ص 145.
2 عزة دروزة، القضية الفلسطينية، ص 33.

قام "نورمان بنتويش" بوضع قوانين وسنّ التشريعات اللازمة لفلسطين، ووضع مئات القوانين التي حدّت من نشاط العرب وحمت اليهود وسهلت هجرتهم[1].

وفي 1920/8/26 وضع "صموئيل" أول قانون للهجرة إلى فلسطين، وقد مكّن هذا القانون من استقبال [16,500] مهاجر يهودي إلى فلسطين، وفتح هذا القانون باب الهجرة واسعا أمام اليهود، حيث ارتفع وجودهم في فلسطين من [7%] عام 1920 إلى [33%] عام 1947[2].

وقام "صموئيل" بتقليص حجم الملكية بالنسبة للعرب، وعمل على إخراجهم من أراضيهم بزيادة الضرائب على الأملاك، وألغى القوانين العثمانية التي كانت تمنع اليهود من امتلاك الأموال غير المنقولة في فلسطين، واستعاض عنها بقوانين جديدة تساعد اليهود على تحقيق أهدافهم ومطامعهم ولاسيما قانون انتقال الأراضي رقم [39] لسنة 1920. وفي ظل هذا القانون قامت الشركات الصهيونية بدور بارز في امتلاك الأراضي ونقلها من الأيدي العربية إلى المهاجرين اليهود. كما منح "صموئيل" شركة البوتاس [75] ألف دونم مجانا، ومنح شركة الكهرباء [18] ألف دونم مجانا أيضا، وهذه الشركات يهودية[3].

وفي نهاية حكم "صموئيل" أصبح اليهود يملكون [1,019,574] دونماً من عام 1921 - 1925. وفي نهاية حكمه افتتح الجامعة العبرية في القدس، ودعا "بلفور" لحضور الحفل عام 1925، كما أدخل اللغة العبرية بجانب الإنجليزية والعربية على جميع المعاملات الفلسطينية وعلى العملة الفلسطينية.

اضطر "صموئيل" تعديل الدستور بسبب فشل المجلس التشريعي لأن العرب رفضوه، فقرر تشكيل مجلس استشاري تكون السلطة الفعلية بيده، ولكن العرب رفضوه أيضا سنة 1923، لذلك ولد هذا المجلس ميتاً.

---

1 حسن صالح عثمان، سياسة هربرت صموئيل وأثرها في تهويد فلسطين، مجلة شؤون عربية، كانون أول، 1978م.

2 عادل أحمد الجادر، أثر قوانين الانتداب البريطاني في إقامة الوطن القومي اليهودي، ص81.

3 أعطى صموئيل امتياز الكهرباء إلى اليهودي روتنبرغ لمدة 70 عاما.

عندما علم "صموئيل" والإنجليز بعدم جدوى التعاون مع العرب، وعدم قبول المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري حاولوا وعلى رأسهم "صموئيل" تشكيل وكالة عربية على نمط الوكالة اليهودية ومساوية لها، ولكن العرب رفضوا هذا المشروع لأنه لا يُحقق المطالب العربية أولاً، ولأن الوكالة العربية ستكون على نمط الوكالة اليهودية ومساوية لها أي [7%] تساوي [93%]، وقد رفض العرب مشروع الوكالة العربية عام 1923 كما رفضوا سابقا مشروع المجلس الاستشاري.

وقدّم السيد "موسى كاظم الحسيني" مذكرة للمندوب السامي بتاريخ 1923/12/9 بيّن فيها الأسباب التي دفعت العرب رفض مشروع الوكالة العربية، ومما جاء في المذكرة "إن الغاية التي ينشدها عرب فلسطين ليست وكالة عربية، إنما الذي يطلبونه ولا يقبلون عنه بديلا هو الاستقلال**"**[1]**.**

ومن أعمال "صموئيل" تشجيع اليهودي "جابوتنسكي" عندما أسّس الجمعية العربية اليهودية أو جمعية التآخي العربي اليهودي، وكان هدف الجمعية هو ضرب الجمعية الإسلامية المسيحية أولا، وضمّ ذوي النفوس الضعيفة من العرب إلى "جابوتنسكي" ولكنه فشل بسبب يقظة العرب.

أما اليهودي "كالفاريسكي" فقد حاول تشكيل الجمعية الإسلامية الوطنية زمن "صموئيل" وكان هدفه ضرب الجمعية الإسلامية المسيحية وضرب الجمعيات الإسلامية الأخرى التي تشكلت بعد الحرب العالمية الأولى، وأخذت تدافع عن فلسطين وعروبتها، لكن الجمعية الإسلامية الوطنية التي شكلها "كالفاريسكي" لم تعش أكثر من ثلاثة أشهر لأنها فضحت واكتشف أمرها من قبل فلسطيني هو "شكري قطينة"[2] **حيث فضح أمرها على صفحات الجرائد. كما حاول "كالفاريسكي" أيضا زمن "صموئيل" تشكيل الجمعية المسيحية اليهودية بقصد تفريق المسلمين عن المسيحيين، ولكن محاولته باءت بالفشل.**

---

1 ناجي علوش، المقاومة العربية في فلسطين، ص 56.

2 تيسير جبارة، مفتي القدس الحاج أمين الحسيني رسالة دكتوراه إلى جامعة نيويورك عام 1982.

واتبع "صموئيل" والإنجليز سياسة [فرق تسد] في فلسطين وذلك لتفريق العرب، حيث تم تشكيل حزبين هما الحزب الزراعي والحزب الوطني، فكان الحزب الأول (الزراعي) غرضه إيقاظ الريبة وسوء الظن في الفلاح نحو المدني وبالعكس، وأخذ المدني ينظر إلى الفلاح نظرة احتقار، وأصبح هناك نفور وعداء واضح بين الفلاح والمدني، وكانت هذه السياسة في التفرقة بين الفلاح والمدني قد لاقت قبولاً في منطقة نابلس، علما أن لواء نابلس هو أعنف لواء يضمّ الحركة الوطنية[1].

كما انتشر هذا الحزب في الخليل وجنين وطولكرم، لم يعش هذا الحزب طويلا لأن المندوب السامي "صموئيل" لم يُحقق لأعضاء الحزب ما وعدهم من معونات، وكانت نهاية الحزب الزراعي على يد القرويين الذي شاهدوا بأنفسهم الاتصالات الجارية بين زعماء الحزب ورجال الجمعية الصهيونية، وقد بقيت رواسب النفور بين الفلاح والمدني فترة طويلة من الزمن، حتى بعد زوال الحزب الزراعي.

أما الحزب الثاني وهو الحزب الوطني، وكان الحزب يأخذ معونته المالية من الإنجليز مثل "صموئيل" والجنرال الإنجليزي "كلايتون" لكن الحزب لاقى معارضة من الوطنيين واحتقارا من مختلف الطوائف والمناطق. والدليل على سوء سمعة هذا الحزب أنه حصلت حوادث ضده من قبل الوطنيين عندما زار الشريف "حسين" عمان قادما من الحجاز، وذهب كثير من الفلسطينيين للسلام عليه، وكان من بين هؤلاء العرب جماعة الحزب الوطني، فقام بعض العرب في عمان برشق أعضاء الحزب الوطني بالبيض والبندورة دلالة على استيائهم من هذا الحزب[2].

لم يعش هذا الحزب طويلا، والسبب في ذلك رجوع "كلايتون" إلى بلاده بريطانيا، فبرجوعه خفتّ حركة هذا الحزب، وانفصل كثيرون من الأعضاء عنه بالرغم من أن الحكومة الإنجليزية حاولت أن تعطيهم وظائف كبيرة عالية وأموالاً في سبيل استمرارية الحزب لضرب الحركة الوطنية في فلسطين.

---

1 **دروزة، مصدر سابق، ص 46.**

2 **مقابلتي مع مس ماري زوجة بولص شحادة مُحرر جريدة مرآة الشرق حيث ذكرت لي نفس القصة.**

ونستنتج من أعمال "صموئيل" أنه نجح في أعمال كثيرة ضد الفلسطينيين في فلسطين، وفشل في أمور كثيرة بسبب الوعي الفلسطيني وتصدّيهم لمشاريعه التي أراد منها سياسة:

[فرّق تسد]

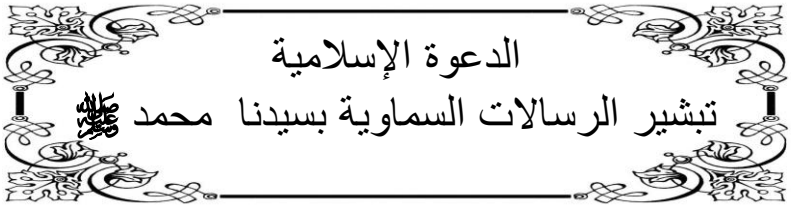

محمد ذياب أبو صالح ـ الهيئة الإسلامية العليا

منذ أن أنزل آدم ـ عليه السلام ـ على وجه الكرة الأرضية والصراع قائم بين الحق والباطل، فكلما رانت على البشرية ظلمات الجهل، شامت على الكون أنوار الأنبياء تترى بين الحين والآخر، فمنذ بداية الخليقة ونور سيدنا محمد ﷺ ينساب في أصلاب الأنبياء والمرسلين إلى أن بزغ نوره على البشرية جمعاء.

ذكر سيدنا محمد ﷺ منذ خلق سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ:

عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل[1] في طينته وسأخبركم أمري دعوة إبراهيم وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأته حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام)[2].

1 **المنجدل: الملقى على الأرض.**

2 **رواه في شرح السنة ورواه الحافظ البيهقي في مجمع الزوائد، وابن كثير في البداية ج1 ص268، ج6، ص 425. ورواه ابن جرير الطبري في المجلد الأول ج1ص 435.**

ودعا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ربّه بأن يبعث رسولا في أهل مكة منهم فقال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[1]. قال السدي عن أشياخه ـ هو ـ سيدنا محمد ﷺ.

إذن هذه الدعوة الإسلامية التي انتظرتها البشرية قاطبة، فما من رسول إلا وأرسل إلى قومه، أما رسالة الإسلام فقد جاءت إلى المخلوقات قاطبة إنسها وجنّها، ذكرها وأنثاها، صغيرها وكبيرها، أسودها وأبيضها وأصفرها .

فالإسلام دعوة عالمية ودعوة الله الخالدة في هذا الوجود ولولا أنها دعوة عالمية لم يكتب الله ـ سبحانه وتعالى ـ لها الخلود وما زال أتباعها يزدادون يوما تلو يوم.

الكتب السماوية تبشر بميلاد سيدنا محمد ﷺ:

[1] تبشير التوراة بسيدنا محمد ﷺ: **أجمعت الرسالات السماوية على ميلاد صاحب هذه الدعوة لان علاج البشرية من دائها يكمن في بزوغ هذه الدعوة التي تعتبر المنقذ الوحيد لهذه البشرية من الويلات.**

قال ـ تعالى ـ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾[2].

والمراد أنهم يجدون نعته، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال. فقد أنزلت التوراة على سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ تناسب زمانها، وجاء فيها انه سيرسل هذا النبي قوله: (وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين أخوتهم، واجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به، فمن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه، فأما النبي الذي يجترئ عليّ بالكبرياء، ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى

1 سورة البقرة آية 129.
2 سورة لأعراف آية 157.

فليقتل، وأن أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك، إن ما قاله النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولا تخشاه)[1].

وكان أحبار يهود يستدلون على مجيء سيدنا محمد ﷺ ويستفتحون على العرب بمجيئه من بين ظهرانيهم، وهناك حالات عديدة من أحبار يهود من آمن برسالة محمد ﷺ لأنهم تيقنوا أنه النبي المشار إليه في التوراة وأن أوصافه هي التي وردت فيها.

[2] تبشير الإنجيل بسيدنا محمد ﷺ: **قال ـ تعالى ـ:** ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[2].

قال ابن قتيبة: "فأما ذكر النبي ﷺ في الإنجيل، قال المسيح للحواريين، أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد علي وأنتم تشهدون لأنكم من قبل الناس، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به".

وقد ورد اسمه صراحة في إنجيل برنابا[3] الذي ظهر متأخرا وأخفي ذكر اسمه وقد استدل العديد من أتباع سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ على أوصاف هذا النبي، فمنهم من كتم إيمانه مثل النجاشي، ومنهم من أعلن إسلامه مثل عدّاس الذي التقى به بعد عودته من الطائف. كما ورد هذا اللفظ بمعنى ـ المعزي ـ في إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر وفي العلامات خمس وعشرين وست وعشرين وسبع وعشرين.

ذكر رحمة الهندي أنه وقعت في يده نسخة طبعت في كلكته سنة 1268هـ وكانت في تحقيق لفظ الفارقليط وكان ملخص كلامه أن هذا اللفظ معرّب من اليونانية

---

1 سفر التثنية 18/18.

2 سورة الصف آية 6.

3 انجيل برنابا ترجم إلى العربية وهو مطبوع الآن، نور اليقين، ص 16، محمد الخضري.

الأصل ـ باركلي طوس ـ أي المعزي، وكان اللفظ الأصلي ـ بيركلوطوس ـ يكون بمعنى محمد أو أحمد[1].

البيئة الفكرية والدينية قبل الدعوة الإسلامية:

اضمحلت العقائد في قلوب الناس وهيمن الشر على البشرية، وتعالت صيحات الإلحاد، وعُبدت الأوثان من دون الله، وسيطر الجهل على الكون والجاهلية على الجزيرة العربية، فلم يعرف العالم في هذه الفترة من تاريخه سوى ما تتركه الحروب المدمرة للبشرية جراء الصدامات الطاحنة بين الفرس والروم أو بين القبائل العربية المتجاورة في الجزيرة العربية على أتفه الأسباب.

أجدبت الجزيرة العربية من عبادة التوحيد، اللهم إلا نُتَفا من هنا أو هناك من بقايا ديانات ارتحل أصحابها إلى هذه الربوع، فلم يعرف العرب آنذاك للتوحيد مذهبا ولا إلى العقائد سبيلا فكان بعدهم عن التصديق بالرسل بعيدا كعمق سراب الصحراء المترامية الأطراف. لقد كانت عبادة ة الأصنام ديانتهم، ووأد البنات عادتهم، وفعل المنكرات ديدنهم، اللهم إلا بعض العادات الموروثة كالكرم والجيرة والنخوة والإيثار.

حقا لقد تفشت الجاهلية في البشرية قاطبة في تلك الفترة من الزمن لبعد أزمان الرسالات السماوية التي أشارت جميعها إلى بزوغ فجر الدعوة الإسلامية، وكانت مكة مهبط الوحي تموج بعاصفة من الشهوات والأهواء، وكان رجالاتها آنذاك المثل الواضح لنضوج هذه الأهواء لما وصلوا إليه من كفر وإلحاد وفسق وابتعاد عن طريق الصواب.

لقد كانت صورة العالم في هذه الحقبة من التاريخ البشري قاتمة مضمحلة، فقد اكتظت الأرض بالمفاسد والضلال فزاد التطلع إلى مصلح يوجه العالم الحائر بعطائه الفكري وغذائه الروحي إلى جادّة الصواب ليريحه من هذا الشقاء والبؤس.

من خلال هذه الجهالات المكدّسة، والعداوات الموغلة، والضلالات العميقة، ومن وسط نماذج لا تعدّ ولا تحصى من الشر والفساد من وراء ذلك الأفق البعيد من الظلام الحالك بدأ الإسلام يشق طريقه رويدا رويدا لينير للبشرية طريق الخلاص ويأخذ بيدها لخيري الدنيا والآخرة.

---

1 **بين الإسلام والمسيحية، كتاب أبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة 582هـ تحقيق الدكتور محمد شامه، ص 221.**

تطور الحركة الفكرية عند العرب في الجاهلية:

خبت أنوار الهداية عن أرض الجزيرة العربية، فغارت في رمال الصحراء، وران الظلام على قلوب العتاة، فأخذوا يتحسسون عن قوة يعبدونها وملاذا يلجأون إليه، فالإنسان مفطور على العبادة ونفسه توآقة للبحث عن أسرار هذا الكون، فيجسد النبات أو الحيوان إلها له أو يتخيل سرا خلف هذا الجماد الذي يراه فيتخذ منه صنما يبعد عنه غوائل الدهر أو إلها يدنيه إلى مسارب الخير.

أخذ الفكر الديني عند العرب مسارب جديدة،فأخذوا يحصرون معتقداتهم الدينية في الشمس أو القمر أو الكواكب فتلتقي على هذه العبادات قبيلة واحدة أو عدة قبائل، إلى أن وصل بهم الأمر إلى وحدة العبادة في صنم واحد، يجمعون عليه أو يحلفون به أو يستقسمون عنده وقد تكون الأصنام من الحجارة الطبيعية المجسمة أو من الأخشاب المجسدة بيد أنها عبادات ـ موروثة ـ وكلها تقرب وزلفى.

عرف العرب عبادة الأصنام، فاتخذوها معبودا لهم كاللات والعزى ومناة وغيرها وقد أجمع العرب من قريش على وضع العديد منها في حجر الكعبة ليتمسحوا بأركانها.

اتخذ العرب من الكواكب والنجوم معبودات لهم، وأول من سّن لهم عبادة (الشعرى) التي ورد ذكرها في القران الكريم:

*** وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ *[1] هو أبو كبشة.**

عرف العرب عبادة النار عن طريق احتكاكهم بالفرس كما عرفوا الزندقة منهم أيضا.

لم تكتف الجزيرة العربية آنذاك بهذه الأخلاط المتباينة من العقائد الساذجة، بل كان هناك احتكاك لأصحاب الديانات السماوية عن التجارة أو التبشير بالديانة اليهودية أو النصرانية، فقد كان بها من يؤمنون بالديانة النصرانية دينا ووفد أصحاب اليهودية إلى أرض المدينة وتيماء فلم يكن لهم أثر في نفوس العرب لانطواء اليهود على أنفسهم وعدم دخول الديانة اليهودية إلى من ليس أصله يهوديا.

---

1 سورة النجم، الآية 49.

ظهرت حركة إصلاحية جديدة، كانت نتيجة حتمية للصراعات الفكرية والخلافات العقدية في تلك المنطقة، فمن عبادة للأوثان أو الكواكب أو الحيوان، ومن ظهور ديانات سماوية مختلفة كاليهودية والنصرانية، كان لابد من ميلاد طائفة تبحث عن الحقيقة وتتوخى الصواب، فكانت هذه الفئة تسمى (بالحنيفية).

أرتقت هذه الفئة بفكرها عن عبادة الأوثان، وسمت بمعتقدها عن التلمس بالشجر أو الحجر أو الحيوان ولم تجنح إلى اليهودية أو النصرانية بل وجدت ضالتها باقتفاء أثر أبي الأنبياء إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

لم تستهدف الحنيفية دينا جديدا كالنصرانية أو اليهودية وإنما كانت مجرد حركة دينية إصلاحية وصف دعاتها بالحنفاء اتباعا لسيدنا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ[2] ومن أشهر المتحنفين، قِس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن الصلت الذي حفل شعره بالتحدث عن الله وما يجب له من محامد حتى قال الرسول ﷺ فيه (كاد أمية أن يسلم)[3] **وسويد بن عامر المصطلقي، وأسعد بن كرب الحميري، وزهير بن أبي سلمى، وورقة بن نوفل وغيرهم.**

شكك هؤلاء النفر بعبادة الأوثان، وساحوا في الأرض بحثا عن الدين الصحيح، وكان لهذه الأفكار أكبر الأثر في تقويض الوثنية في الجزيرة العربية، حيث أخذت تتداعى أمام هذه الأفكار وكان لها الأثر الواضح في إعداد العرب للنقلة والميل إلى ترك الأوثان ونبذها والاتجاه إلى عبادة التوحيد.

الدعوة الإسلامية:

في ليلة طال على الكون غيابها وانتظرت البشرية بزوغ فجرها، انشق بنور المصطفي ﷺ عنان السماء، فهللت بقدومه ملائكة الرحمة وأضفت على الكون

---

1 سورة البقرة، الآية 135.

2 جواد علي ج5 ص 370.

3 حدبث صحيح أخرجه مسلم 410/7 من حديث عن ابي هريرة رواه مسلم ج2 ص 198 ج9 ص 150 المبحث الشعر وابن ماجةج2 ص 410.

شآبيب البركة والنعيم، فلهج بالتكبير أحياؤه وجماده، وانحسرت عن الدنيا ظلمات الجاهلية، وتهاوت عن كواهل البشرية أدران الشرك وعبادة الأوثان.

ليلة هي بداية لتاريخ جديد وواقع عظيم مجيد سطر بأحرف من نور، ونهاية عهد جاهلي دُثّر بوشاح أسود عاشته البشرية المعذّبة على مدى أزمان متفاوتة.

ليلة- فيصل- بين الحق والباطل والنور والنار والبياض والسواد والماضي السحيق بظلامه وظلماته والآتي السعيد بنوره وعدله.

تلك الليلة، هي ليلة مولد المصطفى سيدنا محمد ﷺ ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام هجوم الأحباش على مكة المكرمة سنة 570 م عام 53 قبل الهجرة النبوية[1].

صبيحة ذلك اليوم زُفَ للكون أنسه وجنه وللبشرية حاضرها وغائبها، مولد منقذ البشرية سيدنا محمد ﷺ بن عبد المطلب القرشي، أعلى بيوتات العرب نسبا وحسبا متصل بأبي الأنبياء إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ متسلسل في أصلاب الأنبياء إلى عهد آدم ـ عليه السلام ـ.

مات والده في يثرب وأمه حامل به، بعد مولده الكريم بست سنوات قامت والدته ﷺ بالرحلة من مكة إلى يثرب لزيارة قبر زوجها وفاءً لعهده، وقد قفلت راجعة إلى مكة فعالجها الموت في طريق العودة بمكان يسمى الإبواء بين المدينة ومكة وأصبح ﷺ يتيم الأب والأم.

كفل الرسول محمدا ﷺ جدّه عبد المطلب وضّمه إليه، إلا أن الموت قد عاجله وهو ينوف عن الثمانين فضمه إليه عمه أبو طالب.

كان رسول الله ﷺ أحسن قومه خلقا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنّس شرف الرجال، حتى كان أفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، فسموه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة والفعال السديدة[2].

---

1 محمد الغزالي، فقه السيرة، ص 62.

2 نور اليقين، محمد الغزالي، ص 12.

بلغ رسول الله ﷺ سن الأربعين فنزل عليه الوحي وهو يتحنّث في غار حراء، وقال له : اقرأ : فقال: ما أنا بقارئ، وكررها عليه، حيث تلا قوله:

بسم اله الرحمن الرحيم: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾[1].

عاد رسول الله ﷺ مهرّولا إلى بيته فيقول لزوجه خديجة زملوني، دثروني، فتخبر بهذا الحدث ابن عمها ورقة بن نوفل وهو أحد المتحنفين، فقال لها: "هذا الناموس الذي نزل على موسى" ثم قال: "يا ليتني فيها جدعا (شابا) إذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها".

ولتمام تصديق ورقة بن نوفل بالرسول محمدﷺ قال: "وإن يدركني يومك لأنصّرنك نصرا مؤزرا"[2] ثم لم يلبث ورقة أن توفي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مراتب الصبر وفضائله

بقلم الأستاذ: حسين محمد حسين جاموس

إن الحمد لله، أحمده تعالى وأشكره على جزيل فضله وعظيم عطائه، وأصلي وأسلم وأبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين، وبعد: فإن الله ـ سبحانه ـ بيّن في قرآنه فضيلة الصبر على الدوام، وما أعده من جزاء عظيم للصابرين، ثم أنه أوجب على عباده الصبر عند المصائب والشدائد، فقال ـ سبحانه ـ:

1 سورة الفلق، الآيات 1 - 5.

2 الخضري، محمد بيك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ص 12.

***وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ*[1]. وقال ـ جل وعلا ـ: *وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ*[2]. وقال ـ سبحانه ـ: *وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ*[3].**

وقد جعل الله ـ تعالى ـ الابتلاء سنّة ماضية في الحياة الدنيا، يختبر ـ المولى سبحانه ـ عباده بها، ويميّز بها الخبيث من الطيّب، ويرفع بها درجات المؤمنين، الذين يتلقّون كلّ ابتلاء بالصبر والرّضا عن أفعال الله ـ تعالى ـ، ومن حِكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنّ هذه الابتلاءات التي تعرِض للعبد في دنياه من شأنها أنْ تزيد تعلّقه فيما عند الله ـ تعالى ـ وتعمّق إيمانه بهوان الدّنيا ونقصان ملذّاتها، وأنّ الدار الآخرة هي دار الخلود، والجنّة مكان تحصيل الشّهوات والملذّات، ومن هنا حثّ الإسلام على التّحلي بالصَّبْر؛ وأعظم الجزاء للصابرين. وفي موضوعنا هذا نبين فيه فضيلة الصبر ومراتبه التي بينها الفقهاء.

1 الأنفال: 46.
2 النحل:127.
3 البقرة:155- 157

تعريف الصَّبْر:

الصَّبْر في اللغة: **صَبْر اسم، والفعل منه صبَرَ ومصدر الفعل هو صَبْر، ونقول: صبَرَ على وصبَرَ عن، فهو صابِر، وصبَر المرء: بمعنى رَضِي وتحمّل وانتظر باطمئنان ودون تعجّل، والصَّبْر هو حُسْن التّحمّل والجَلَد دون شكوى أو جزَع**[1].

الصَّبْر في الشرع: **هو منع المرء نفسه عمّا حرّم الله تعالى، وإلزام النّفس بما فرض الله سبحانه وتعالى، وحَبْسها عن الشكّوى والسّخط على أفعال الله ـ عزّ وجلّ ـ وقيل الصَّبْر هو:** منع النفس من الشكاية حال وقوع البلاء دون الصَّبْر عن الشكّوى إلى الله تعالى[2].

أهمية الصبر وفضائله:

إن الباحث في موضوع الصَّبْر في الإسلام يجد أنه أخذ جانباً واسعاً من الاهتمام؛ فقد ذُكر في القرآن الكريم في ما يزيد على تسعين موضعاً، ثمّ إنّ شعائر الدّين وشعائر الإسلام ترتبط به ارتباطاً وثيقاً، فلا غنى للمسّلم عن الصَّبْر في عباداته بكلّ مجالاتها. أمّا فضائل الصَّبْر فهي أكثر من أنْ تُحصى، وفي ثمرات تحصيله عون للمرء على اكتسابه، وتعويد النّفس عليه، فمن فضائل الصَّبْر ما يأتي:

[1] الصبر يعمل على تمكين الإيمان بالله ـ تعالى ـ في قلب العبد، وقد عدّه النبيّ ﷺ من مراتب الإيمان.

[2] الصَّبْر سبب لتحصيل الإخبات والخضوع إلى الله ـ تعالى ـ حيث قال: *وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ*الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ*[3].

ورُوِي عن سعد بن أبي وقّاص ـ رضي الله عنه ـ أنّه قال: "قلتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟" قالَ: (الأنبياءُ، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ؛ يُبتلَى الرَّجلُ علَى حسَبِ دينِهِ، فإن كانَ في دينِهِ صلباً اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتُلِيَ علَى قدرِ دينِهِ، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي علَى الأرضِ، وما علَيهِ خطيئةٌ)[4].

[3] الصَّبْر هو السبيل لتمكين المؤمن من مهمّة الاستخلاف في الأرض؛ فقد قال الله ـ تعالى ـ:

---

1 "تعريف ومعنى صبر في معجم المعاني الجامع"، www.almaany.com.

2 لجنة الإشراف العلمي، "معنى الصبر لغةً واصطلاحاً"، www.dorar.net

3 سورة الحج، آية: 34-35.

4 رواه الترمذي، في سنن الترمذي، عن سعد بن أبي وقاص.

***وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ*(1).**

[4] إنّ الصَّبْر سبب نزول رحمة الله ـ تعالى ـ فقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ:*وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ*(2).

إنّ الصَّبْر سبب في محو الخطايا؛ ففي الحديث عن النبيّ ﷺ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلا وَصَبٍ، وَلا هَمٍّ، وَلا حُزْنٍ، وَلا أَذىً، وَلا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)(3).

[5] إنّ الصّابر موعود من الله ـ تعالى ـ بالأجر العظيم، فقد قال: *إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ*(4).

[6] إنّ الصّابر يحظى برعاية الله ـ تعالى ـ ومعيّته ومحبّته. قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: *وَاللَّهُ مَعَ الصّابِرِينَ*(5). وقال أيضاً: *وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ*(6).

مراتب الصَّبْر:

إن الصَّبْر الواجب على المسلم يترتب على ثلاثة أنواع: **الصَّبْر على فعل الطّاعات وأداء الواجبات: حيث إنّ النفس بطبعها تميل إلى الشّهوات، وهذا مانع للعبد من الانقياد السريع لفعل الطّاعة، لذا يلزم المرء في هذا النوع من أنواع الصَّبر أنْ يعوّد نفسه على خُلُق الصَّبر في ثلاثة مواضع:**

الأوّل: **قبل البدء بالطّاعة فيَحْسُن بالمسّلم أنْ يتفقّد نيّته ويطهّرها من كل شائبة رياء، ويستحضر الإخلاص لله تعالى وحده.**

والثاني: **الصَّبْر أثناء قيامه بالطّاعة، فيحرص المسّلم على أدائها على الوجه المشّروع وفق ما جاء به النبيّ ﷺ.**

---

1 سورة السجدة، آية: 24.
2 سورة البقرة، آية: 155-157.
3 رواه البخاري.
4 سورة الزمر، آية: 10.
5 سورة الأنفال، آية: 66.
6 سورة آل عمران، آية: 146.

والثالث: **الصَّبْر بعد أداء الطّاعة، فيحرص أنْ لا يُدخل لنفسه العَجب أو محبّة ثناء الخَلْق؛ فيُفسِد على نفسه عمله، وعلى الدّاعية إلى الله ـ تعالى ـ أنْ يعلم أنّ الصَّبْر سلاحه في طريق الدّعوة، وأنْ يستذكر خطى الأنبياء وسيرتهم في تحمّل الأذى وصنوف الصدّ عن الدّعوة، من نوح عليه السّلام إلى خاتم الأنبياء محمّد ﷺ.**

الصَّبْر عن فعل المعاصي وارتكاب المحرّمات: **حيث إنّ الدنيا بملذّاتها وشهواتها تُشكّل ابتلاء من نوع آخر في مسيرة حياة المسلم، لذا فإنّ العبد محتاج لسلاح الصَّبْر لمواجهة هذه المُغريات الكثيرة والمتنوعة التي تعرضُ له في حياته، ومن شهوات الدنيا التي يدفعها المسّلم عن نفسه بالصَّبْر كي لا تُعْسِر عليه سلامة المسير وفق مراد الله تعالى: شهوة النّساء والمال والمتاع وغيرها، ويستذكر المسّلم في هذا المقام قصة قارون ومصيره بعد أنْ أغدق الله تعالى عليه من صنوف المال والذّهب والفضة، ثمّ أنكر فضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه؛ فخسف الله به الأرض، وجعله عبرة لأولي القلوب والأبصار، قال الله ـ تعالى ـ:**

***وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ*[1].**

الصَّبْر على أفعال الله والابتلاءات والنّوازل الشديدة: حيث إنّ من طبيعة الحياة الدنيا أنّها لا تصفو لأحد، ولا يسلم من آلامها وبلائها بَرّ ولا فاجر، ولكنّ المؤمن بدافع الرّضا عن أفعال الله ـ سبحانه ـ وأقداره يواجه كلّ الابتلاءات بثبات وجَلَد، وهو بذلك هادئ النّفس مطمئن البال؛ لأنّه على يقين أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويرى المؤمن أنّ أنبياء الله ـ تعالى ـ وهم صفوة خَلْقه، وأفضل إنسه قد ابتلاهم المولى ـ سبحانه ـ بأنواع كثيرة من الابتلاءات، لكنّهم واجهوها بالرّضا والتّسليم والصَّبْر الجميل. ولقد صبر أيوب ـ عليه السّلام ـ على المرض وفقدان الأهل والولد. وصبر يوسف ـ عليه السّلام ـ على ما حلّ به من بلاء السّجن والافتراء إلى أن حصحص الله ـ تعالى ـ الحقّ وأظهره، أمّا النبيّ محمّد ﷺ فقد صبر في مواقف كثيرة منذ بعثته إلى وفاته.

مكانة الصّبر والصّابرين عند الله:

---

1 سورة القصص، آية: **80.**

وعد الله ـ تعالى ـ عباده الصّابرين بالأجر والثّواب العظيم، وقد ذكر ذلك في كتابة العزيز في أكثر من سورة وآية؛ حيث أعدَّ لهم جنّاتِ النّعيم، وعوّضهم أجر صبرهم وجهادهم لأنفسهم، وأعطاهم من الجزاء أضعاف ما تمنّوا ممّا صبروا عليه، ويظهر أثر الصّبر على العبد في الدّنيا قبل الآخرة؛ فيعوّضه الله بما هو خير له، فيوسّع له في رزقه، ويجعل له بركةً في كلِّ شيء، وينقله من البلاء والشّقاء إلى النّعيم والعطاء.

وممّا جاء في القرآن والسُّنة بخصوص الصّبر على البلاء ما ورد عن النبيّ ﷺ من رواية أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ إذ يقول: "مرَّ النبيُّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فقال: (اتقي اللهَ واصبري) **قالت: إليكَ عَنِّي، فإنكَ لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفْهُ، فقيل لها: إنَّهُ ﷺ فأتَت باب النبيِّ ﷺ فلم تجد عندَهُ بوَّابِينَ، فقالت: لم أعرِفْكَ، فقال:** (إنّما الصّبرُ عند الصّدمةِ الأولى)[1].

وقد دلَّ هذا الحديث على عِظَم أجر الصّابرين، وأنّ الصّبر إنّما يكون عند حصول الصّدمة لا بعد الضّجر منها والكفر بها. فالبلاء أمرٌ حتميٌّ على الخَلق كُلّهم، والعاقل مَن يصبر ويحتسب، وبالصّبر كذلك يظهر الشقِيُّ من عباد الله من السّعيد، ويظهر الشّاكر لله على كلّ حالٍ ممّن يكفر بالله إذا أصابته مصيبة، يقول الله ـ عزّ وجل ـ في ذلك:

***إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرا*إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا*[2].**

ما السورة القرآنية التي في كل آية من آياتها لفظ الجلالة

1 رواه البخاري.
2 سورة الإنسان ، آية: 2-3.

السؤال الأول:

السؤال الثاني: ما عدد قراءات القرآن الكريم المتفق عليها؟

السؤال الثالث: من الصحابية التي دافعت عن الرسول يوم صلى الله عليه وسلم يوم أحد؟

السؤال الرابع: ما أول شيء يقضى فيه بين الناس يوم القيامة؟

السؤال الخامس: **ما** هي الخلافة الأطول في عهد الخلفاء الراشدين وكم

السؤال السادس: في أي مدينة يوجد مقرّ محكمة العدل الدولية؟

السؤال السابع: ما الحيوان الوحيد الذي ينام على ظهره؟

السؤال الثامن: ما الاسم الذي يطلق على منظمة الدول المصدرة للبترول؟.

السؤال التاسع: ما البلاد التي يطلق عليها اسم أرض اللبن والعسل؟.

السؤال العاشر: من مؤلف كتاب [العقد الفريد]؟

آخر موعد لاستلام الإجابات هو الأول من ربيع ثاني **1441** هـ
وترسل الإجابات على بريد المجلة الالكتروني أو على صندوق بريد رقم **19004** القدس

إجابات أسئلة مسابقة العدد (248)

السؤال الأول: رصدت قريش مائة من الإبل مكافأة لمن يعيد إليها الرسول صلى الله عليه وسلم.

السؤال الثاني: بدأ العمل بالتقويم الهجري على يد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عام 17 للهجرة.

السؤال الثالث: ترك صهيب الرومي ماله للمشركين حتى يتركوه يهاجر إلى المدينة.

السؤال الرابع: مرافقو الرسول صلى الله عليه وسلم في الهجرة هم: أبو بكر، وعامر بن فهيرة، والدليل عبد الله بن أريقط.

السؤال الخامس: أبو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ هو أول من حيا الرسول صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام.

السؤال السادس: أول آية نزلت في القتال هي [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير][سورة الحج الآية **39**].

السؤال السابع: يطلق لقب [أم قشعم] على أنثى النسر.

السؤال الثامن: تبلغ مساحة فلسطين [**27**] ألف كيلو متر مربع.

السؤال التاسع: قامت القدس على أربعة جبال هي: جبل موريا، وجبل زيتا، وجبل صهيون، وجبل أكرا.

السؤال العاشر: أبو العلاء المعري هو صاحب رسالة الغفران.

الفائزون

25 دينار

فاطمة نعمان
القدس

تيماء بدر
القدس